جهود فقهاء حضرموت في خدمة المذهب الشافعي



ويتضمن مسحاً واسعاً لمؤلفات الفقهاء الحضارمة
المطبوعة والمخطوطة ومواضعها في مكتبات العالم

تأليف

محمد بن أبي بكر بن عبد الله باذيب

الجزء الأول

دار الفتح للدراسات والنشر

المبحث الأول

المذهب الإباضي(*) في حضرموت

تمهيد:

كان مذهب الإباضية هو المذهب السائد في حضرموت قبل انتشار المذهب الشافعي، والمعروف عند عامة المؤرخين أن هذه النحلة ظهرت على الصعيد السياسي في حضرموت سنة ١٢٨ هجرية، بعدما ظهر أميرهم الشهير طالب الحق الكندي في حضرموت ودعا إلى نفسه بالإمامة، وخرج على بني أمية، كما سيأتي.

من هم الإباضية، ومتى كان ظهورهم؟ قبل أن نخوضَ في شأن إباضية حضرموت بالخصوص، لا بد لنا من مدخل وتمهيد حول تاريخ ظهور هذا المذهب أو هذه النحلة (الطائفة) الإسلامية، ومعرفة أصولها وجذورها العقدية والفقهية والسياسية، فأقول:

الإباضية: فرقة إسلامية نسبت إلى الخارجي عبد الله بن إباض التميمي (ستأتي ترجمته)، قال عنهم العلامة الشيخ محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤هـ) رحمه الله: «هم أكثر الخوارج اعتدالاً، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو، ولذلك بقوا، ولهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون، ويقيم طوائف منهم في بعض واحات

(*) **ضبط كلمة إباضية**: أهل عُمَـان يفتحون الهمزة، وأهل المغرب وشَمال أفريقيا يكسرونها، **ينظر**: د.صابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهباً**، (دار الجيل، بيروت، ١٤٠٦هـ): ص٤٣- ٤٤.

الصحراء الغربية، وبعض آخر في بلاد الزنجبار (شرق أفريقيا)، ولهم آراء فقهية، وقد اقتبست القوانين المصرية في المواريث بعض آرائهم»[١].

ابتداء ظهورهم:

كان ظهور هذه الفرقة متزامناً مع ظهور فتنة الخوارج وخروجهم على الإمام علي رضي الله عنه في وقعة صِفِّين (سنة **٣٧هـ**)، بعد موافقته على مبدأ التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله، وخرجوا على إمرته وخلافته، فسُمُّوا **بالخوارج**، ولما رفضُوا ما ذَهب إليه من قبولِ التحكيم سمُّوا **المحكِّمة الأُولى**، ثم اجتمعوا بموضع يسمى (حَرُوراء) فلقبوا **بالحرُوريَّة**، ويسمَّون أيضاً: **أهلَ النَّهروان** وهي كُورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد، وكان بها وقعةٌ لأمير المؤمنين علي عليه السلام مع الخوارج، **وهم النواصب** لأنهم ناصبوا الإمام علياً رضي الله عنه العداء، **والشُّراةَ**: اسم أطلقوه على أنفسهم كنايةً عن شرائهم الجنة، **والوهبية**: نسبة إلى أميرهم عبد الله بن وهب الراسبي[٢]، فهذه سبعةُ مسميات تطلق على الفرقة الإباضية.

ويذهب الخوارج عامة إلى تكفير الإمامين علي وعثمانَ رضي الله عنهما وكلِّ مَنْ رضي بالتحكيم من الفريقين، وأصحابِ الجمل، وأَمَّرُوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبيَّ الخارجي (قتل سنة ٣٨هـ). يقول المستشرق الفرنسي **أَلْفِرِدْ بِلْ** (ت **١٩٤٥**م): «إن أساس مذهب الخوارج سياسي، لأنهم اعتبروا أهلَ صِفِّين إنما يتبعون مصالحهم

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**: ص٧٦ .

(٢) عن هذه التعريفات ينظر: الإمام عبد القاهر الإسفراييني (ت ٤٢٨هـ)، **الفرق بين الفرق**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار المعرفة، بيروت، مصورة، د.ت): ص٧٣. والإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، **الملل والنحل**، قدم له عبد الرحمن خليفة، (مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بهامش الفِصَلْ لابن حزم، د.ت): ١/ ١٢٣-١٢٤، و نايف معروف، **الخوارج في العصر الأموي**، (دار النفائس، ودار سبيل الرشاد، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٢٧هـ): ص٢٤٨-٢٥٦.

الخاصة للوصول إلى السلطة، فقرروا: أن الخليفة لا يمكن أن يعيَّنَ إلا باختيارٍ حرٍّ (انتخاب) تقومُ به جماعةٌ من المسلمين، دون اعتبار الأصل والنسب»[١]، إلى غير ذلك من المبادئ التي قام عليها مذهبهم العقدي والفقهي الذي لم يتبلور إلا أواخر العهد الأموي، أما في بداية ظهورهم كفرقة خارجة على جماعة المسلمين فلم تكن لهم نظريات عقدية تحكمهم، بل كانوا يخضعون لاجتهادات زعمائهم الذين لم تكن قد تبلورت لديهم أفكار محددة واضحة يتميزون بها عن سائر المسلمين[٢].

انقسام فِرقُ الخوارج:

ظل الخوارجُ فرقةً واحدةً بعد خروجهم في صِفِّين (٣٧هـ) حتى سنة ٦٤هـ، وفيها بدأت فرق الخوارج في التكاثر والانقسام، واتسعت دائرة الافتراق حتى عَدَّ العلماءُ منهم عشرين فرقة، **أولها: الأزارقة**؛ أتباع نافعِ بن الأزرق (ت ٦٥هـ)، أولُ من أحدَث الخلاف بينهم، وهم القائلون بتكفير الإمام علي رضي الله عنه، وبتخليد مرتكب الكبيرة. **ومن فِرَق الخوارج**: النجْداتُ أو (النجدية)، والصُّفريةُ، **والإباضية**، إلى آخر الفرق العشرين[٣].

انتساب الإباضية:

وردت أقوالٌ ضعيفة في نسبتهم، فقيلَ: إلى **الحارث بن أباض**[٤]، وقيل: إلى **أباض**

---

(١) ألفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨١م): ص١٤٤.

(٢) نايف معروف، **الخوارج في العصر الأموي**،: ص٢٦٠.

(٣) الإسفراييني، **الفَرْق بين الفِرَق**: ص١٠٣، والشهرستاني، **الملل والنحل**: ١/ ١٤١.

(٤) مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**، (دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م): ص٤٢، نقلاً عن: مطهر بن طاهر المقدسي، **البدء والتاريخ**، (طبعة باريس ١٩١٦م): ٥/ ١٣٨، وبه قال أيضاً: السمعاني، محمد بن عبد الكريم، في **كتاب الأنساب**.

بن عمرو، الذي خرج في سواد الكوفة[١]. وهذه أقوال ضعيفة. وثمةَ قولٌ ثالثٌ أورده المقريزي (ت ٨٤٥هـ) في «**الخطط**»: من احتمال كون الإباضية تنسب إلى قرية إباض بالقرب من اليمامة، وهذا قولٌ غريبٌ انفرد به، ولم يتابعه عليه أحد[٢]. والمشهور عند المؤرخين والمتتبعين لتاريخ الفرق الإسلامية، أنها إنما عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى **عبد الله بن إباض**، قال الشَّهرستاني (ت ٥٤٨هـ): «**الإباضية**: أصحابُ عبد الله بن إباض»[٣]، وقال الإسفراييني (ت ٤٢٨هـ): «أجمعتِ **الإباضية** على القول بإمامة **عبد الله بن إباض**»[٤].

ومن القائلين **من الإباضية** بإمامة ابن إباض وكونه مرجعاً لهم في الأحكام والأحوال على سبيل المثالِ: المؤرخ الإباضي العباس بن منصور السكسكي[٥]. أما **جمهور الإباضية**[٦] فيعودون بأصولهم إلى غير عبد الله بن إباض، فيجعلون جابر بن زيد أبا الشعثاء هو الإمام الحقيقيَّ للمذهبِ، ويبرِزُونَ دورَ أبي عبيدة مُسلم بن أبي كريمة، وتلميذه الربيعَ بن حبيب الأزدي، وغيرهم. ومع اعترافهم بإمامة ابن إباض، فإنهم لا يعدونه المؤسسَ للمذهب. فإن «المعلومات الواردة في المصادر الإباضية تبين أن عبد الله

---

(١) الملطي، أبوالحسن محمد بن أحمد، **التنبيه والرد على أهل البدع والأهواء**، (طبعة بيروت، د.ت): ١/ ٨٠. المقريزي، أحمد بن علي، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (دار صادر، بيروت، د.ت) ٢/ ٣٥٥. لكن المقريزي سماه: الحارث بن عمرو، وهو مردود. **وينظر**: مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٤٢، وصابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهباً**: ص٤٤.

(٢) مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٤٤، نقلاً عن: المقريزي، **المواعظ والاعتبار**: ٢/ ٣٥٥.

(٣) الشهرستاني، **الملل والنحل**: ١/ ١٤١.

(٤) الإسفراييني، **الفَرْق بين الفِرَق**: ص١٠٣ .

(٥) صابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهباً**: ص٤٥.

(٦) ومنهم: ابن سلام الإباضي، في كتابه **بدء الإسلام وشرائع الدين**: ص١٠٨، وعبد الله الباروني، **رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين**، (مكتبة الضامري، عمان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ): ص٩.

ابن إباض لعب دوراً ثانوياً في تأسيس الحركة الإباضية وقيادتها بالمقارنة مع إمامها الأول ومؤسسها جابر بن زيد»[١].

ويقال: إن ابن إباض كان يعمل في كل نشاطاته وفقاً لأوامر جابر بن زيد[٢]. وإنما «نسب المذهبُ إليه حيث اشتهر بمناظراته مع الخوارج الصُّفرية والنجدية، فكان طبيعياً أن ينسِبَ الناسُ من كان على رأيه إليه، رغم أنه لا توجد مسألة له في المذهب من رأيه، وإنما أخذ عن جابر، فالنسبة الحقيقية لجابر، ولم يكن لهم ذاك من قبل، بل كانوا يسمون أنفسهم بالمسلمين وأهل الاستقامة»[٣].

هذا التهميشُ لدور ابن إباض جعل البعض يشكِّك في وجوده وفي صحة النسبة إليه، فهذا الإمام الحافظ ابن حزم الأندلسي (ت **٤٥٦هـ**) يقول: معرِّضاً بجهالة عينِ ابن إباض: «لقد سألنا من هو مقدَّمُهم في علمهم ومذهبهم فما عرفه أحدٌ منهم»[٤]. ووافقَه على هذا القول من أهل اليمن الأمير العلامة نشوان الحميري (ت **٥٧٣هـ**)، وزاد عليه: أن ابن إباض تحول معتزلياً، مستدلاً هو الآخر بأن أصحابه لا يعظمون أمره[٥]. وقول نشوان هذا رده بعض الباحثين بحجة أنه حكاه عن رجل من المعتزلة غير مؤتمن في نقله[٦].

---

(١) عمرو خليفة النامي، **دراسات عن الإباضية**، ترجمه وراجعه مجموعة من الباحثين، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، **٢٠٠١**م): ص**٤٥**.

(٢) عمرو النامي: **دراسات عن الإباضية**: ص**٤٥**، وعوض خليفات، **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، (وزارة التراث والثقافة، مسقط، الطبعة الرابعة، **١٤٢٦**هـ): ص**٩**.

(٣) بلحاج بن عدون قشار، **اللمعة المضية في تاريخ الإباضية**، (مكتبة الضامري، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، **١٤١١**هـ): ص**١٠**.

(٤) ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، (مكتبة السلام العالمية، القاهرة، بتقديم عبد الرحمن خليفة، د.ت): **٤/ ١٩٣**.

(٥) نشوان الحميري، **الحور العين**: ص**٢٢٧**.

(٦) مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص**٤٣- ٤٤** .

عبد الله بن إباضٍ التميمي (عاش إلى حوالي سنة ١٠٤هـ)[(١)]:

هو عبد الله بن إباض المقَاعسي المرِّي ـ من بني مرة، رهط الأحنف بن قيس ـ التميمي[(٢)]، ترجمته مضطربة، وصرّح الباحثون ـ الإباضيون وغيرهم ـ بأن المعلومات عن شخصيته قليلة جداً، سواء في مصادر الإباضية أم في غيرها[(٣)]. واتفقوا على أنه كان حياً أواخر عهد عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ)، وأنه بعث لعبد الملك رسالةً جوابيةً على رسالة وردته منه[(٤)]. وقيل: بل عاش إلى ما بعد موت جابر بن زيد (ت **٩٣**هـ؟، أو **١٠٤**هـ)، وجمهور الإباضية إذا عدوا أئمتهم بدؤوا بابن إباض وثنَّوا بجابر بن زيد. ولا يعلم تاريخ أو موضع موته، وزعم ابن حوقل (ت **٣٦٧**هـ؟): أنه مات في جبل نفُّوسَة بالغرب، وردّه مؤرخو الإباضية[(٥)].

وبالغ بعض الإباضية[(٦)] فعدَّه في الصحابة، وهو قول شاذ جداً. والذي عليه الأكثرون أنه من عداد التابعين لإدراكه بعض الصحابة، وهو معدود في أصحاب عبد الله بن

---

(١) ألف في سيرته بعض الإباضية كتاباً مخطوطاً يوجد ضمن كتاب في التراجم يسمى «**السير الحمادية**»، اطلع عليه الباحث طالب مهدي في مكتبة غالب بن علي بمدينة الدمام، **ينظر**: مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص**٤٥** (حاشية).

(٢) مصادر ترجمته: ابن النديم، **الفهرست**: ص**٢٢٧**، والمبرد، **الكامل في الأدب**: ص**١١٨**، وابن حزم، **الجمهرة**: ص**٢٠٧**، وابن عبد ربه، **العقد الفريد**: **٣/ ٣٤٦**.

(٣) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص**٤٣** .

(٤) **ينظر**: أئمة وعلماء عمان، **السير والجوابات**، (وزارة التراث، عمان): **٢/ ٣٤١**، وطالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص**٤٥ ـ ٤٦**.

(٥) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص**٤٨**.

(٦) هو العلامة أطفيش الجزائري الشهير بالقطب (ت **١٣٣٢**هـ)، في كتابه الشهير عند الإباضية: **الرسالة الشافية**: ص**٤٩** . نقلاً عن: مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص**٤٥** .

وهب الراسبي الخارجي (ت ٣٨هـ)[١]. ووصفه العلامة الدرجيني الإباضي (ت ٦٧٠هـ؟) بأنه: «إمام أهل الطريق المؤسس لها»[٢]، وأنه «رأس العقد، ورئيس من في البصرة»[٣].

أما المؤرخ أحمد بن قاسم الشماخي (ت ٩٢٨هـ) فقال عنه :«وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد، وله مناظرات مع الخوارج»[٤]. وذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) في لسان الميزان وقال عنه: «رأس الإباضية، من الخوارج، وهم فرقة كبيرة، وكان هو فيما قيل: رجع عن بدعته، فتبرأ أصحابه منه، واستمرت نسبتهم إليه»[٥] إلخ. وردّ بعضُ الباحثين من الإباضية هذه المقولة: بأن المصادرَ الإباضية لا تؤيدها[٦].

زمن ظهوره:

كان عبد الله بن إباض أحدَ أتباع المحكِّمة الأولى، محكِّمة البصرة الذين كان على رأسهم مرادس بن حُدير (أو: ابن أُديَّة)، أبو بلال[٧] (ت ٦١هـ)، ومن كبار أتباعه أيضاً:

---

(١) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٤٧ .

(٢) مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٤٧، نقلاً عن: الدرجيني، **طبقات الإباضية** (مخطوط).

(٣) مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٤٧.

(٤) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السيَر**، (وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ): ١/ ٧٣، ومهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٤٧.

(٥) ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، (مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ): ٤/ ٤١٨.

(٦) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٤٨.

(٧) هو مرداس بن حدير بن عامر الحنظلي التميمي، أبو بلال، وأدية اسم جدة له، من عظماء الشراة، شهد صفين مع الإمام علي، وأنكر التحكيم، وشهد النهروان، قتل سنة ٦١هـ في معركة تسمى (موقعة آسَك)، **ينظر**: الإسفراييني، **الفَرْق بين الفِرَق**: ص٧٤، وياقوت الحموي، **معجم البلدان**: ١/ ٥٣.

نافع بن الأزرق (ت **٦٥**هـ)، ونجدة بن عامر الحنفي (ت **٦٩**هـ)، وعبد الله بن صفار (ت ٦٠هـ)، وكانوا كلهم على رأي واحد قبل خروجهم إلى مكة المكرمة.

وكان خروجهم بقصد الوقوف إلى جانب عبد الله بن الزبير (ت **٧٣**هـ) ضدَّ هجمات بني أمية عليه، وكانوا يظنون أنه على رأيهم، فلما رأوه يترضَّى عن أبيه وعن سائر الصحابة، رضوان الله عليهم، تبرؤوا منه، وغادروا مكة. ثم كَرَّ جمهورهم راجعين إلى البصرة، وأمّروا عليهم نافع بن الأزرق (ت **٦٥**هـ)، واجتمعوا عليه، وكان ذلك عقب هلاك يزيد بن معاوية (ت **٦٤**هـ)، فالتف حول نافع (ت **٦٥**هـ) أكثر من (**٣٠٠** رجل) وبايعوه على الخروج إلى (الأهواز) وإعلان الثورة على بني أمية، فخرجَ ولحق به أكثرُ المحكّمة. وجلست طائفة منهم في البصرة لم تخرج، فسمُّوا القَعَدة، ومنهم: **عبد الله بن إباض**، وعبد الله بن صفّار (ت ٦٠هـ)، ومعهما رجال قليل، فتبرأ منهم نافع، وأرسل لهم كتاباً أعلن فيه تركه لمبادئ أبي بلال (ت ٦١هـ)، وأعلن تكفيره لجميع المسلمين، وأباح قتل أطفالهم، وبعثه إلى أهل البصرة.

فلما وصل الكتابُ قرأه القعَدة، فتبرؤوا مما جاء فيه، وخالفوا نافعاً فيما ذهب إليه، وكان عبد الله بن إباض لما قرأ الكتاب قال: إن القوم كفارٌ بالنعم والأحكام، وهم برآء من الشرك، ولا تحل لنا إلا دماؤهم وغير ذلك علينا حرام، فكان كتابُ نافع ابن الأزرق (ت **٦٥**هـ) هو نقطة الانقسام في صفوف القعَدة، بسبب تباين مواقفهم منه، ومن ذلك الوقت بدأ الخوارج في الانقسام والتشرذم[١]. قال أبو العباس المبرِّد (ت **٢٨٥**هـ) في «الكامل في الأدب»: «وقول **عبد الله بن إباض** هو أقرب الأقاويل إلى السنة من أقوال الضُّلاَّلِ، والصفريةُ والنجديةُ في ذلك الوقتِ يقولون بقولِ ابن إباض»[٢].

(١) محمد بن يزيد المبرد، أبي العباس (ت ٢٨٥هـ)، **الكامل في اللغة والأدب**، (مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت): **٢/ ٢٧٧**، والطبري، **تاريخ الأمم والملوك**: **٥/ ٥٦٨**.

(٢) محمد بن يزيد، الشهير بالمبرِّد، **الكامل**: **٢/ ٢١٤**.

هذا مجمل ما يقال في عبد الله بن إباض التميمي وقصةِ خروجه، وبداية نشأة الحركة التي نسبت إليه فيما بعد، وألصقت به إلصاقاً وثيقاً، فيكون ابن إباض على هذا هو المؤسس للحركة سياسياً وفكرياً (عقدياً)، وكان لتعاليمه أثرٌ كبير في المسار الفقهي لاسيما في أبواب الجهاد والسير والإمامة، كما يعلم من المصنفات الفقهية الإباضية.

هل يصح وصفُ الإباضية بأنهم خوارج؟

هذا السؤال يراود أذهان الكثيرين من الباحثين، لاسيما وأن كبار مشايخ المذهب الإباضي المعاصرين ومن قبلهم ينفون عن مذهبهم صفة الخارجية، وصنفوا كتباً في ذلك[1]. **فأقول** على سبيل الإجمال: إن هذا الموضوع شديد الحساسية بالنسبة للإباضية أنفسهم، فجمهور المؤرِّخين قدامَى ومُـحدَثين ـ من غير الإباضية ـ لا يعدّون الإباضية إلا فرقة خارجية، بل يصفُها البعض بأنها البقيةُ الباقية من فِرَق الخوارجِ التي اندثرت جميعها ولم يبق سواها، وظلوا ينظرون إليهم من هذه الزاوية.

وحاولَ الكثيرون من العلماء الإباضيين المعاصرين سلوك عدة سبل في دحض هذه النسبة التي يعدّونها تهمة لمذهَبهم، ولهم عباراتٌ كثيرة سطَّروها في أبحاثهم، منها قول العلامة إبراهيم أطفيش (ت **١٣٨٥هـ**) في رسالته «**الفَرْقُ بين الإباضية والخوارج**»: «الحقيقة التي لا مرية فيها: أن أهل النهروان لم يخرجوا عن علي قط**!** ولكنهم حين أبوا التحكيم وأصروا عليه جنح أبو الحسن إلى فريق التحكيم، فرأى منكرو التحكيم أن البيعة لم تكن في أعناقهم بل هم في حل منها، فاعتبروا التحكيم تنازلاً من الإمام أبي الحسن عن البيعة»[2]، ثم ذكر اختيارهم أتقى رجل يومئذ وهو ابن وهب الراسبي الأزدي، إلخ، قال:

---

(١) من هذه المؤلفات: **أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج**، للشيخ سالم بن حمود السيابي، صدر عن وزارة الثقافة، عمان، وكتاب: **الفرق بين الإباضية والخوارج**، للشيخ أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، صدر عن مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، وغيرها من الأبحاث ضمن العديد من الكتب والبحوث المعاصرة.

(٢) إبراهيم أطفيش، **الفرق بين الإباضية والخوارج**: ص٧-٨.

«فرأى علي بن أبي طالب أن البيعة حصلت لأزدي لا لقريشي، هذا هو السبب الوحيد لواقعة النهروان»(١).

ومنها قول الباحث الإباضي د. صالح الصوافي: «وتفرَّقَ هؤلاء الخارجون إلى فِرَقٍ عديدة، كان منها الأزارقة والصفرية والنجدات، وهؤلاء هم الذين أصبحوا يعرفون بالخوارج، ويعني وصفهم بذلك: أنهم خارجون عن الدين ومارقون، بما استحلوا من المحرمات، وما خالفوا فيه الأحكام الصحيحة للإسلام. **أما الإباضية**، وهم الذين عُرِفوا بجماعة المسلمين، أهلِ الحق والاستقامة، فهم لا يرون رأيَ هؤلاء الخوارج، بل يرونهم مارقين خارجين عن الدين، ورغم أنهم يوالون المحكمة الأولى ـ وعلى رأسهم عبد الله بن وهب الراسبي ـ إلا أنهم لم يوافقوا الأزارقة ومن والاهم من بعدِه، بل تبرؤوا من مذهبهم»(٢).

ويقول د. عمرو النامي معللاً نظرة غير الإباضية إليهم واتهامهم بالخارجية: «لقد كان من الصعب على غير الإباضية أن يُكَوِّنوا نظرة واضحة عن الحركة الإباضية وعن طبيعة علاقاتها بحركة الخوارج، ومردُّ ذلك إلى التكتم حول النشاطات والمخططات التي وجهت معظم النشاطات الإباضية الأولى، والسبب الآخر هو ـ كما ذكره ابن النديم ـ أن خوف الإباضية من الاضطهاد من قبل خصومهم جعلهم يسترون كتبهم»، إلخ.

---

(١) إبراهيم أطفيش، **المصدر السابق**: ص٨، ويوافقه على هذا الرأي: سالم بن حمود السيابي الحارثي، **العقود الفضية في أصول مذهب الإباضية**، (دار اليقظة العربية، بيروت، د.ت): ص٦٤. وانظر لرده: أحمد محمد جلي، **دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين: الخوارج والشيعة**، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ): ص٨٣ وما بعدها.

(٢) د.صالح الصوافي، **الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة**، (وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ): ص٢٢٢، وللمزيد: مهنا بن راشد السعدي، إضاءات حضارية من تراث الإباضية، (مكتبة الغبيراء، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ): ص١٨٥ وما بعدها.

إنه مهما تعلل الإباضية وتهربوا من مصطلح (الخوارج)، فلا يمكنهم إخفاء حقائق التاريخ، لأنهم مع رفضهم له، ونظرتهم إليه أنه صنيعةُ الأمويين، فهم لا يتحاشون أن ينتسبوا إلى (المحكِّمَةَ الأولى)، بل يطنبون في مدحهم، ويفَاخرون بانتسابهم إلى عبد الله بن وهب الراسبيِّ، فهذا تناقض غريب منهم! إذ معنى انتمائهم إلى المحكِّمة الأولى وإلى ابن وهب: أنهم يربطون أنفسَهم تاريخياً وعقائدياً بأُسِّ أساس الخوارج! **فمن هنا نعلم**: أنه من الصعبِ عليهم أن ينفوا صفة الخارجية عنهم[1]، وفي هذا الصدد يقول الباحث د.أحمد جلي في بحثه الرائع عن فرقتي الخوارج والشيعة بعد كلام ممتع وتحليل جميل: «أرى أنه من الأفضل أن يقول الإباضية: إن حركةَ الخوارج كانت تضُم تياراتٍ متعددة، وأن سلفهم كانوا يمثلون تياراً معتدلاً داخل تلك الحركة. وعلينا أن لا نحمِّلَ هذا التيارَ تبِعةَ ما قام به الخوارجُ المتطرفون من أعمال، وأن لا نحاكم الإباضية المعاصرين بتاريخ حركة الخوارج بأسرها، بل يحكم عليهم كما يحكم على غيرهم من المسلمين بمقدار تمسكهم بالإسلام وقيمه، واتفاق مبادئهم مع ما جاء في الكتاب الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام»[2].

* * *

---

(١) د. هاني سليمان الطعيمات، **الإباضية مذهب لا دين**، (دار الشروق، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م): ص١٥٤، نقلاً عن: عمر بن الحاج، **دراسة في الفكر الإباضي**.

(٢) د. أحمد محمد جلي، **دراسة عن الفِرَق في تاريخ المسلمين**: ص٨٧.

مطلب

الإباضية مذهباً فقهياً

يذهب جمهور الإباضية ـ قُدامى ومحدَثين ـ إلى أن المؤسس الأولَ لمذهبهم الفقهي وواضعَ دعائمِه هو التابعيُّ الجليل أبو الشعثاء جابر بن زيد[(١)]، ويفضلون مذهبه على بقية المذاهب لأنه من أقدم المذاهب الفقهية التي دوِّنت، لقدم وفاة الإمام جابر (ت **٩٣هـ؟**)، بينما في المقابل مولدُ أبي حنيفة النعمان مؤسسِ أقدمِ المذاهبِ الأربعة السُّنِّيِّةِ الشهيرة كان سنة ٨٠هـ.

---

(١) ابن سلام الإباضي (ت ٢٣٧هـ؟)، **بدء الإسلام وشرائع الدين**، (جمعية المستشرقين الألمانية، طبع بدار صادر بيروت، ١٤٠٦-١٩٨٦م): ص١٠٨، الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**: ص٧، مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٦٤ – ٦٩، أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٦٧، أعلى يحيى معمر، **الإباضية في موكب التاريخ**، (مطابع النهضة، سلطنة عمان، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ): ص١٤٣، د. صالح الصوافي، **من أعلام عمان؛ صور مشرقة من حياة الرعيل الأول**، (دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ): ص٩٩-١٤٥، ومن المصادر الحديثة: يحيى بكوش، **فقه الإمام جابر بن زيد**، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م): ص٩-٧٧، عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٧٣- ٩٤، وللشيخ سالم بن حمود السيابي العماني، **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، صدر عن (وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٩٧٩م).

الإمام جابر بن زيد الأزدي (٢٢ – ٩٣هـ تقريباً):

هو أبو الشعثاء، جابر بن زيد الأزدي اليُحمِدي الجوفي العماني ثم البصري(١)، مولده بأرض عمان بجوف الخميلة ـ موضع بها ـ بين سنتي ١٨ و٢٢ للهجرة، وقيل: ينسب إلى درْب الجوف بالبصرة، يكنى أبا الشعثاء وهو اسم ابنة له ماتت في حياته وقبرها لا يزال معروفاً في بلدة (فرَق) من ولاية نزْوَى بعمان(٢). توفي بعمان سنة **٩٣هـ**، وقيل: **٩٦هـ**، وقيل: **١٠٤هـ**، والأول أصوب. وقد كان أبوه عالماً فقيهاً، ولابنه الإمام جابر رواية عنه(٣).

طلب الإمام جابر العلم بمكة والمدينة، ولقي أم المؤمنين عائشة، واشتهر بأخذه عن ابن عباس وطول صحبته له، كما أخذ عن ابن عمر (ت **٧٣هـ**) وأنس (ت **٩٣هـ**) وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين. ثم سار إلى البصرة، وكان له بها شأن كبير، أخرج له الستة وأجمعوا على ضبطه وعدالته وصحة حديثه(٤). قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما: «**لو نزل أهل البصرة عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عما في كتاب الله**»(٥)، وأقوال أهل العلم وشهاداتهم فيه كثيرة.

---

(١) **من مصادر ترجمته**: ابن سعد، **الطبقات الكبرى**: ٧/ ١٧٩، وأبو نعيم الأصبهاني، **حلية الأولياء**: ٣/ ٨٥ وما بعدها، يوسف المزي، **تهذيب الكمال**، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ): ٤/ ٤٣٤، وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**: ٢/ ٣٤ والزركلي، **الأعلام**: ٢/ ١٠٤.

(٢) يحيى بكوش، **فقه الإمام جابر بن زيد**: ص١١، وعمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٧٣، **وينظر**: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**: ٢/ ١٨٧ وما بعدها.

(٣) يحيى بكوش، **فقه الإمام جابر بن زيد**: ص١٢.

(٤) يوسف المزي، **تهذيب الكمال**: ٤/ ٤٣٤، وابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**: ٢/ ٣٤.

(٥) ابن سعد، **الطبقات الكبرى**: ٧/ ١٧٩.

مكانته عند الإباضية:

يذهب عامة الإباضية إلى أن الإمام جابر بن زيد هو إمامهم الأول، وأنه كان يأخذ بالتُّقية في نشر دعوته حتى لا يتعرض له الأمويون بالأذية، وأنه كان مشاركاً خُفيةً في الأحداث السياسية الجارية في عصره، وأنه انضمّ إلى جماعة الشاري أبي بلال (ت ٦١هـ) الذي قدم البصرة بعد نجاته من وقعة النهروان.

ونظراً للدور الذي قام به الإمام جابر في نشر المبادئ التي قامت عليها فرقة الإباضية، وللمكانة العلمية التي حظي بها في مجتمع البصرة بفضل ثقله العلمي، جعلوه إماماً لهم ورئيساً، خاصةً بعد وفاة أبي بلال سنة ٦١هـ، حتى أنهم كانوا لا يصدرون إلا عن رأيه في جميع أمورهم، ويعتبرون فترة إمامته ما يسمونه بـ(حالة الكتمان)[١].

الخلاف في إمامة جابر بن زيد:

كثير من حفاظ الحديث، يذهبون إلى: أن الإباضية إنما انتسبوا إلى جابر بن زيد وألصقوا مذهبهم به، وأنه كان ينتفي منهم، مستندين إلى ما ورد عند ابن أبي حاتم الرازي في كتابه «الجرح والتعديل» من أنه قيل له: إن هؤلاء القوم ينتحلونك، ـ يعني الإباضية ـ فقال: أبرأ إلى الله من ذلك[٢]. وما جاء في «تاريخ ابن معين» برواية الدوري: «سمعت يحيى **يقول** ـ في حديث جابر بن زيد ـ الذي يرويه أبو هلال عن جابر بن زيد: أنه دخل عليه فقال له في رأي الخوارج، **فقال**: إني أبرأ إلى الله منه»[٣]، وإلى ما في «تهذيب الكمال»

---

(١) مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٦٤، وهاني طعيمات، **الإباضية مذهب لا دين**: ص١٥، وعمرو النامي، **دراسات عن الإباضية** ص٨٣.

(٢) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٨٢.

(٣) يحيى بن معين، **التاريخ**، تحقيق أحمد نور سيف، (مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ): ١٠٦/٣.

للمزِّي: عن عَزرةَ بن قيس، قال: «دخلت على جابر بن زيد، فقلت: إن هؤلاء القوم ينتحلونك ـ يعني: الإباضية ـ قال أبرأ إلى الله من ذلك»[١]، وغير ذلك من الروايات الشبيهة بها.

ولا شك أن مثل هذه الروايات ستكون مردودة عند الإباضية، وأنه على فرض صحتها فإنها لا تؤخذ على ظاهرها، لأن جابراً ربما أنكر علاقته بالإباضية على سبيل التقية الدينية التي استعملها في مناسبات عديدة، كما استعملها غيره من أئمة الإباضية، وهي مشروعة عندهم في المذهب. ثم إن بحث هذه الجزئية وإثباتها أو عدمه لا يقدم ولا يؤخر شيئاً في الحقيقة، لاسيما وأن المذاهب الإسلامية إنما تبلورت فيما بعد على أيدي الأتباع[٢].

ولعل مما يؤكد نظرية (تقية) الإمام جابر عند الإباضية، ما ورد من روايات في بعض مصادرهم القديمة تشير إلى أنه كان يستعمل التقية فعلاً، ولكنها لم ترد إلا في مصادر (إباضية) وفي أزمنة متأخرة، مما يجعل تصديقها والاعتماد عليها محل نظر[٣]. كما يؤكدون صدق انتمائه إليهم بما ورد في (مصادرهم) المتأخرة أيضاً بما رووه عن قدمائهم: أن الحجاج قام بنفي جابر بن زيد من البصرة إلى عمان، مع أحد مشايخ الدعوة واسمه (هبيرة)، وهو جد الداعي الإباضي الشهير محبوب بن الرحيل بن هبيرة، الذي روى عن

---

(١) الحافظ المزي، **تهذيب الكمال**: ٤/ ٤٣٦.

(٢) يحيى بكوش، **فقه الإمام جابر**: ص٣٤-٣٧، هاني طعيمات، **الإباضية مذهب لا دين**: ص١٢-١٣، صالح الصوافي، **الإمام جابر بن زيد**: ص١٦٠.

(٣) منها على سبيل المثال: أمْره بقتل (خردلة)، رجل كان إباضياً ثم تخلى عن مذهبه، **ينظر**: الشماخي، **السير**: ١/ ٧٧، مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٦٧، عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٨٩.

جده هذا الخبر[١]. كما أنهم يروون أن الحجاج بن يوسف كان يتودد إلى جابر بن زيد، وكان يريد توليته القضاء لولا رفضه وابتعاده عن ذلك[٢] ، فلعل النفي وقع بعد الامتناع.

انقسام الإباضية:

ثم إن الإباضية انقسموا فيما بينهم بعد ذلك إلى عدة فرق، تماماً كما حدث في انقسامهم عن الأزارقة والمحكِّمة الأولى، وأهم فَرِق الإباضية في المشرِق: الحفصية، والحارثية، واليزيدية وفيهم غلاة يقولون بنسخ شريعة الإسلام في آخر الزمان، وقد تبرأ الإباضية منهم. وأما في المغرب فهم ست فِرَقٍ: النكارية، والنفاقية، والخلفية، والحسنية، والسكاكية، والفرثية[٣].

* * *

(١) الشماخي، **السير**: ١/ ٧٦، ويحيى بكوش، **فقه الإمام جابر**: ص، مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٦٨، عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٨٩-٩٠.

(٢) مهدي هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٦٨، عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٨٧.

(٣) عبد القاهر الإسفراييني، **الفَرْق بين الفِرَق**: ص١٠٤ وما بعدها، وصابر طعيمة، **الإباضية عقيدة ومذهباً**: ص٥٠-٨٧، ود.عامر النجار، **الخوارج**، (عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ): ص٩٣-١٠٠، المؤلف نفسه،**الإباضية**، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م): ص٣٤-٦٣.

مطلب

في ظهور الإباضية في حضرموت

تمهيد:

بعد ذلك العرض السريع والموجز لمجمل تاريخ الحركة الإباضية في مراحلها الأولى، وذكر الأسس التاريخية والدينية التي يرتكز عليها هذا المذهب، نعود إلى مسار بحثنا عن تواجد هذه الفرقة الإسلامية في منطقة حضرموت. إن دخول الدعوة الإباضية في اليمن وحضرموت غير معروف تاريخه بالتحديد، ولكن بالعودة إلى تاريخ ظهور حركة الخوارج وانتشارها في العالم الإسلامي، وما رافق ذلك من أحداث دامية، يمكننا أن نقترب من تحديد زمن الانتشار.

وصول الخوارج النجدات إلى حضرموت:

لقد كانت هناك توطئات تاريخية مهمة، وطَّأت لقدوم الإباضية، حيث أن حضرموت لم تسلم من هجمات الخوارج النجدات (أو: النجدية) أتباع نجدة بن عامر الحنفي (ت ٦٩هـ)، الذين انشقوا عن الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ) وفارقوهم. فقد ذكر المؤرخون: أن نجدة بن عامر بعد أن اختلف مع نافع بن الأزرق (ت ٦٥هـ)، فارقه واتجه صوب اليمامة، ونزل بقرية (أباض)! وكان بها (أبو طالوت)، سالم ابن الفرج، من بني بكر بن وائل، من أصحاب نافع القدامى، وممن خرج مع المحكمة الأولى، وكان الخوارج قد بايعوا (أبا طالوت) شريطة أن يقيموا غيره إذا وجدوا من هو

أفضل منه. وكان نجدة و(أبو طالوت) ومن معهما يقومون بهجمات نهبٍ لبعض المواضع والقوافل التي تخص (أعداءهم)، ويستحلونها.

وقد وقفت على نصَّين هامين في «كامل ابن الأثير» يتعلقان بما نحن بصدده، حصل عند بعضِ الباحثين ارتباك في فهمهما:

النص الأول: قال ابن الأثير (ت **٦٣٠هـ**): «ودعا أبا طالوت إلى نفسه، فمضى إلى **الحضارم** فنهبها، وكانت لبني حنيفة، فأخذها منهم معاوية بن أبي سفيان (ت ٦٠هـ) فجعل فيها من الرقيق ما عدَّتُهم وعدَّةُ أبنائهم ونسائهم أربعة آلاف، فغنم ذلك وقَسَّمه بين أصحابه، وذلك سنة خمس وستين (**٦٥هـ**)، فكثر جمعُه»[1]. انتهى. وهو صريح في أن نجدة دعا أبا طالوت إلى طاعته، فلما لم يستجب له أخذ يستعرض قوته أمام أتباع أبي طالوت ليظهر أمامهم بمظهر القوي المتغلب، وعليه فيكون الذي مضى إلى (**الحضارم**) وقام بنهبها هو (نجدة) الذي كثر جمعه، وليس (أبو طالوت) كما ذهب إليه بعض الباحثين[2]، وهذا ما يتضح جلياً في النص التالي:

النص الثاني: قال ابن الأثير (ت **٦٣٠هـ**): «ثم إن عيراً خرجت من البحرين، وقيل من البصرة، تحمل مالاً وغيره يراد بها ابن الزبير، فاعترضها نجدة فأخذها وساقها حتى أتى بها أبا طالوت **بالحضارم** فقسمها بين أصحابه، وقال: اقتسموا هذا المال وردوا هؤلاء العبيد واجعلوهم يعملون الأرض لكم فإن ذلك أنفع. فاقتسموا المال **وقالوا**: نجدة خير لنا من أبي طالوت؛ **فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدةَ** وبايعه أبو طالوت، وذلك في سنة ست وستين (**٦٦هـ**)، ونجدة يومئذٍ ابن ثلاثين سنة»[3]. انتهى.

---

(١) علي بن محمد ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، (دار صادر، بيروت، **١٣٨٥هـ**): **٤/ ٢٠١**.

(٢) نايف معروف، **الخوارج في العصر الأموي**: ص١٩١.

(٣) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**: **٤/ ٢٠١**.

هذان النصان ورد فيهما ذكر (**الحضارم**)، فذهب وَهَلُ بعض الباحثين إلى أن المعني بها (**أرض حضرموت**)، وبنى على ذلك: وصول الخوارج إليها في تلك السنة (**٦٥هـ**)، ولكني بتأمل النَّصَّين: أرى أن المقصود هو موضعٌ يدعى (**الحضارم**) بمنطقة اليمامة، وهي بلد بني حنيفة، وليس هناك أي تواجد لبني حنيفة بحضرموت؛ **هذه واحدة**.

الثانية: أن اعتراض نجدة ورجاله للعير القادمة من البصرة أو من البحرين وسوقهم لها إلى أبي طالوت وهو حينئذ (**بالحضارم**)، لا يمكن أن يفهم منها أنه كان (**بحضرموت**)، لبعد (**حضرموت**) عن أرض اليمامة بمسافات بعيدة. فلم يبق إلا أن تكون كما ذكرت: قرية أو موضعاً بأرض اليمامة. وكنت أظن ابن الأثير (ت **٦٣٠هـ**) تفرد بذكر هذا الخبر، وتسمية هذا الموضع، وذلك مدعاة لتضعيفه، فارتفع الإشكال، كما ورد ذكره عند ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، وبه يتقوى الخبر[١].

أول هجوم خارجي على حضرموت كان أواخر سنة ٦٧هـ:

بعد أن كثر أتباع نجدة وبايعه الخوارج، سار إلى صنعاء اليمن في آخر سنة **٦٧هـ** وبايعه أهلها، ثم أرسل عماله ليأخذوا الصدقة من مخاليف اليمن، ولم ينسَ (**حضرموت**) بل أرسل لها أحد شجعانه، وهو أبو فديك، عبد الله بن ثور، أحد بني قيس بن ثعلبة، فبسط نفوذه عليها وأخذ (الصدقة) منهم، وكان نجدةُ قد فرَّق جنوده وعساكره في نواحي اليمن، ولكن ذلك النفوذُ لم يدم طويلاً، فسرعان ما انقلب أبو فديك على نجدة فقتله سنة **٦٩هـ**، وقيل: **٧٢هـ**، ثم قتل أبو فديك وشيكا على أيدي الأمويين سنة **٧٣هـ**، وأسدل الستار بعد ذلك على حركة النجدات[٢].

---

(١) نايف معروف، **الخوارج في العصر الأموي**: ص١٩١، ١٩٣.

(٢) **الكامل**: ٤/ ٣٦٢، أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، (مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، **١٣٨٩هـ**): ١/ ١٧٦، نايف معروف، **الخوارج في العصر الأموي**: ص**١٩٤-١٩٥**. وعن أبي فُديك، **ينظر**: الزركلي، **الأعلام**: ٤/ ٧٦.

إن أخذ النجدات ما أطلقوا عليه اسم (الصدقة) من أهل حضرموت وهي عبارة عن إتاوات يأخذونها من السكان ليستعينوا بها على نشر الدعوة، دليل على ضعف سلطة بني أمية على ذلك القطر البعيد، وضعفهم عن مقاومة هذه الهجمات المتكررة.

لقد كان الولاةُ على حضرموت واليمن الأعلى من قبيلة ثقيف(١) ولاةَ جَور وظلم لا يقلُّون في ذلك عما وصف به قريبهم الحجاجُ بن يوسف (ت ٩٥هـ) أشهر ولاة الظلم والجور في التاريخ الإسلامي، أولهم في زمن عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ): محمد بن يوسف الثقفي أخو الحجاج، ولاه على صنعاء، والحكم بن أيوب الثقفي (ت ٩٥هـ) ولاه على حضرموت، ثم يوسف بن عمر الثقفي (ت ١٢٧هـ) ولاه سليمان بن عبد الملك (ت ٩٩هـ)، ثم أخوه القاسم بن عمر الثقفي كان والياً زمن مروان بن محمد (ت ١٣٢هـ) المعروف بالحمار خاتمة الحكام من بني أمية، وفي أيامه كان خروج طالب الحق كما سيأتي.

إن الظلم الواقع على عامة المسلمين من بني أمية وولاتهم على المناطق الواقعة تحت ولايتهم، هو الأمر الذي سوغ للخوارج ذوي الشوكة والقوة الخروجَ عليهم وعدم الانضواء تحت راية حكمهم، حيث كان شعارهم: (لا ولاية لظالم).

وهكذا؛ وبعد أن وقفنا على جلية أمرِ الخوارج وأنهم لم تكن لهم قدمٌ ودولة في حضرموت فيما قبل الدور الإباضي، بل كانوا ينقضُّون عليها انقضاضاً، فيجبون من أهلها ما يسمونه (الصدقة)، يأتي بعد ذلك الدور الإباضي، الذي أبرز دعاةً ذوي همة عالية أقاموا لهم كياناً داخل حضرموت، بل تعدوا إلى مهَاجِر أسلافهم الحضارمة في بلاد

---

(١) **ينظر للمزيد**: ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ)، **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، (مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ): ص٨٥-١٠٥، وصالح الحامد، **تاريخ حضرموت**: ١/ ٢٠١-٢٠٢.

الشام والعراق، ومنها إلى الشمال الأفريقي حيث بذروا بذرة الدعوة الإباضية هناك، فنمت وترعرعت وبسقت أغصانها فكونت دوحة كبيرة ومجتمعاً متماسكاً لا يزال قائماً إلى أيامنا هذه.

ظهور الحضارمة في صفوف الإباضية:

لقد تتبعتُ واستقرأتُ العديد من المصادر والمراجع الإباضية، فوجدت أن ظهور الحضارمة في صفوف الإباضية كان على أشده في أيام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي (الإمام الثاني)، المتوفى أثناء خلافة أبي جعفر المنصور العباسي (ت **١٥٨**هـ)، وأبو عبيدة هو ثاني الأئمة الدعاة في زمن (الكتمان) بالبصرة، ومن كبار أصحاب جابر بن زيد (الإمام الأول)، وقد برز كإمام مطاع من قبل الإباضية بعد خروجه من سجنه سنة **٩٥**هـ إثر موت شيخه جابر بن زيد (وهذا يؤيد أن وفاة الإمام جابر سنة **٩٣**هـ)، وكانت وفاة أبي عبيدة بعد سنة **١٤١**هـ[١] وذلك في زمنِ أبي جعفر المنصور (ت **١٥٨**هـ).

فقد التف حول أبي عبيدة أهل الدعوة والطلبة، ثم تفرقوا دعاة في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من بين الوافدين عليه ـ في مقره (السرِّي) في البصرة ـ عدد من أهل حضرموت، منهم:

١ـ أبو المهاجر هاشم بن المهاجر الحضرمي[٢]:

فقيه من أهل حضرموت، هاجر من بلده واستقر في الكوفة، معاصر لأبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة. ذكره ابن سلَّام (ت بعد **٢٧٣**هـ) وقال عنه: «فقيهٌ مفتٍ، من أهل الكوفة، من علمائنا فيها»[٣].

---

(١) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ١٠٧.

(٢) ابن سلام، **بدء الإسلام**: ص١١٤-١١٥، عمرو النامي، دراسات **عن الإباضية**: ص١٣٣-١٣٤.

(٣) ابن سلام، **المصدر السابق**: ص١١٤-١١٥.

مروياته في المذهب: رويت عنه مسائل في المذهب الإباضي، أوردها العلامة أبو غانم بشر بن غانم الخراساني[١] في (مدونته)[٢] التي دون فيها أقوال شيخه أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت بعد **١٤١هـ**) (الإمام الثاني)، وهي ثاني أقدمِ كتاب عند الإباضية بعد مسند الرَّبيع بن حبيب. ومن المواضع التي ذكر فيها في المدونة المذكورة: **ج١/ ١٧، ٢٠، ٣٢، ٤٩، ٧٨، ٧٩، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٧١، ٢٦٠، ٢٦٣، ٣٤٩، ٤٣٤، ٤٦٢، ٥٠٢. ج٢/ ٢١٤، ج٣/ ٥٠، ٢١٤، ٣٦٠، ٤٢٧، ٤٣٨، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٢، ٥٠٨.**

٢ـ أبو أيوب وائل بن أيوب الحضرمي (ت بعد ١٧٩هـ)[٣]:

أحد كبار الدعاة، معدود في طبقة أصحاب الربيع بن حبيب صاحب المسند (ت حوالي **١٧٥هـ**)، كما أخذ عن أبي عبيدة، قال فيه الشماخي (ت **٧٢٩هـ**): «هو من أفاضل أصحابنا، علماً، وزهداً، وتقىً، وأمراً ونهياً»[٤] أهـ. ونقل الشّماخي عن أبي عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم، قوله فيه: «عليكم بوائل فإنه أقرب عهداً بالربيع»[٥]. ونقل عن بعض أكابرهم قوله فيه: «صِنوُ الرَّبيع وتِلوُه، فإنهما رضيعا لبان التفقه في العلوم، فما منهما إلا له فيه مقام معلوم، له أنواع من جميل الصفات، أحيا الله بها على يديه أَعْظُمَ الدين الرفات، من طيب شيم، وخلق كريم»[٦]. ونقل عنه أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ت حوالي

---

(١) من أصحاب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، لم تؤرخ وفاته. **ينظر**: عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص١٣٣-١٣٤.

(٢) ينظر في وصفها: عمرو النامي، **المصدر السابق**: ص**١٣٣-١٣٤**. وقد صدرت منها طبعة خاصة عام **١٤٢٨هـ**، بتحقيق د.مصطفى بن صالح باجو، في **٣** أجزاء.

(٣) **مصادر ترجمته**: ابن سلام، **بدء الإسلام**: ص١١٥، الشماخي، **السير**: ١/ ٩٧.

(٤) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٧، (ملتقطاً).

(٥) أحمد بن سعيد الشماخي، **المصدر السابق**: ١/ ٩٧.

(٦) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٧.

١٥٠هـ) قوله: «أدركت بحضرموت رجالاً، إن كان الواحد منهم لو وُلِّيَ على الدنيا كلها لاحتمل ذلك في عقله وحلمه وعلمه وورعه»[(١)]. وكان أبو أيوب مرجعاً معتمداً في النشاط السياسي للحركة، وكان إباضية عمان[(٢)] وإباضية المغرب[(٣)] يستشيرونه في كثير من تحركاتهم السياسية، وكان يشير عليهم ويوجههم من مقره في البصرة، وخلفه في هذه المنزلة صاحبه أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ت حوالي ١٥٠هـ)[(٤)]. شارك في حروب عبد الله بن يحيى الكندي[(٥)]، وفي إقامة الإمامة الإباضية بحضرموت، وكان عضواً في الوفد الذي أرسل إلى مكة باسم المجموعة الإباضية التي عارضت عبد الله بن سعيد، للتفاوض بشأن الانشقاق في حضرموت مع الأئمة الإباضيين في البصرة[(٦)]. واستقر لاحقاً في البصرة، ثم أصبح رئيس شيوخ الإباضيين، بعد رحيل الربيع بن حبيب إلى عمان[(٧)]. انتهى. وكانت وفاته بعد سنة ١٧٩هـ كما يؤخذ من تاريخ السالمي[(٧)].

---

(١) أحمد بن سعيد الشماخي، **المصدر السابق**: ١/ ٩٧، وحوَّر هذا النص بعض الباحثين فقال: ونُقِل عن أبي أيوب أنه ذكر دعاة في حضرموت كانوا قبله من ذوي القدرات العلمية والإدارية. **ينظر**: طالب مهدي، **الإباضية في المشرق العربي**: ص٨٩-٩٠.

(٢) عبد الله بن حميد السالمي (ت ١٣٣٢هـ)، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، (مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان، ١٤١٧هـ): ص١٠٩-١١٠، **وسيرة أبي الحواري إلى أهل حضرموت**، ضمن السير والجوابات: ص٣٤١.

(٣) أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص٩٠، الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**: ١/ ٤٩، سليمان الباروني، **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، تحقيق محمد علي الصليبي، (دار الحكمة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م): ص١٥٩، وعمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٢٠٤.

(٤) أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص١٢١-١٢٢.

(٥) ينظر عن دوره في حروب طالب الحق: أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٨.

(٦) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٨٥.

(٧) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص١٣٤.

(٧) عبد الله بن حميد السالمي، **تحفة الأعيان**: ص١٠٩.

من الآخذين عن أبي أيوب: الإمام الكبير أبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي (ت حوالي ١٥٠هـ)[١] صاحبه وخليفته وراوية أخباره، والإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ابن رستم (ت ٢٠٨هـ؟)[٢] ثاني الأئمة الإباضية الرستمية بالمغرب العربي، وأبو عيسى إبراهيم بن إسماعيل الخراساني، صاحب الكتاب الذي سيره إلى أهل المغرب عقب وفاة عبد الوهاب الرستمي، وقال فيه: «وقد أدركنا أبا أيوب وائل بن أيوب، وغيره من الأشياخ، ومن بعده محبوباً أبا سفيان بن الرحيل وهم راضون عنه، لا ينقمون عليه شيئاً، والحمد لله»[٣]. انتهى.

*** آثاره العلمية:**

١ ـ ذكر العلامة أحمد بن سعيد الشماخي (ت **٧٢٩**هـ) أنه رأى جزءاً في مناظرة أبي أيوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له: كهلان، وأصحابه[٤].

٢ ـ كما رويت عنه مسائل في المذهب الإباضي، وردت في «مدونة العلامة أبي غانم

---

(١) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ١٠٨، وصالح الصوافي، **من أعلام عمان**: ص١٧٥، ومهنا السعدي، **إضاءات حضارية**: ص١٥١.

(٢) **ينظر لترجمته**: أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص٨٦، أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ١٣٠، سليمان الباروني، **الأزهار الرياضية**:، والزركلي، **الأعلام**: ٤/ ١٨٣.

* وأبوه عبد الرحمن بن رستم (ت ١٧١هـ) مؤسس الدولة الرستمية في المغرب العربي، وباني مدينة (تيهرت) في ليبيا وهو أحد من أطلق عليهم (حملة العلم) وهم جماعة نفرت إلى البصرة لطلب العلم على يد (الإمام الثاني) أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وقضوا في طلب العلم خمس سنوات ثم عادوا إلى المغرب، وكان نَفْرُهم لطلب العلم بعد قدوم **سلمة بن سعد الحضرمي** إليهم وتشجيعهم له على الرحلة في طلب العلم. **ينظر**: مهنا السعدي، **إضاءات حضارية**: ص٣٢، وص١٢١ وما بعدها.

(٣) ابن سلام، **بدء الإسلام وشرائع الدين**: ص١٣٨.

(٤) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٧.

بشر بن غانم الخراساني»، كما في المواضع التالية: ج١/ ١٦، ١٧، ٢٠، ٢٣، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٦٦، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٨، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٦٥، ٣٠٧، ٣٠٨، ٤٢٤، ٥٠٠، ٥٢٥، ٦٠٣. ج٢/ ١٤، ٢٧، ١١٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ١٤٠، ١٦٣، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٧٦، ٣٨٥، ٣٨٨، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠١، ٥٠٨. ج٣/ ٢٠، ٢٣، ٤١، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ٧٧، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩٧، ١٠٢، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٠، ١٣١، ١٤٩، ١٦١، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٨٨، ٢٩٧، ٣٢٢، ٣٦٠، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦١، ٤٩٢، ٥٠٦.

ومن أقواله في المذهب:

١ـ قال **أبو أيوب**: إنما الفقيه الذي يعلم ما يسع الناس فيه مما يسألونه عنه، وأما التضييق فمن شاء أخذ بالاحتياط[(١)].

٢ـ **ونقل عنه**: أنه كان لا يرى بأساً باتخاذ البساط الذي فيه تصاوير إن كان مما يوطأ ويمهد، وقد أفتى بهذا لبعض أصحابهم فلم يأخذوا به[(٢)].

٣ـ وعن أبي سفيان محبوب بن الرحيل، عن **وائل**: أنه اجتمع في خباء أبي عبيدة بمشايخ من حضرموت فسألهم عن مسألة: رجل اكترى دابة إلى موضع معلوم، فجاوز الموضع فتلفت الدابة. قال: فأجمعوا كلهم على أنه ضامن للدابة ولا رأوا عليه دفع كراء حين ضمنوه القيمة. قال: وكان أبوعبيدة غائباً، فلما حضر، قيل لوائل: سل الشيخ عن حاجتك يا حضرميُّ، فسأله، فأفتى له: بلزوم الكراء والقيمة[(٣)].

---

(١) أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٩.

(٢) أحمد بن سعيد الشماخي، **المصدر السابق**: ١/ ٩٣.

(٣) أحمد بن سعيد الشماخي، **المصدر السابق**: ١/ ٩٠.

٣ـ سلمة بن سعيد الحضرمي[(١)] (كان حياً سنة ١٣٥هـ):

أجمعت كافة المصادر والمراجع الإباضية على أنه أول الدعاة الإباضية وصولاً إلى المغرب، وسمته بعض المصادر: سلامة بن سعد، والبعض: سلمة بن سعيد، وشبهوا دوره في المغرب بدور ابن إباض في المشرق، فهو مؤسس المذهب هناك.

وتاريخ ابتعاثه غير محدد، غير أنه كان بين نهاية القرن الأول ومطلع القرن الثاني، وحددها بما بين عامي (٩٥هـ، و١٠٥هـ). أسند أبو زكريا في تاريخه عن عبد الرحمن بن رستم (ت ١٧١هـ) قوله: إن سلمة بن سعيد قدم عليهم في القيروان قادماً من أرض البصرة، ومعه عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٥هـ)، يتناوبان الركوبَ على جمل واحدٍ حملا عليه زادهما، فكان سلمة يدعو إلى الإباضية، وعكرمة يدعو إلى الصفرية. واشتهر عنه قوله: «وددت أن يظهر هذا الأمر بأرض المغرب يوماً واحداً من غدوة إلى الزوال (أو: الليل)، فما أبالي بعد ذلك ضربت عنقي (أو: فلا آسف على الحياة بعده)»[(٢)].

وبعد استقراره في القيروان، أقبل عليه طلبة العلم، وعلى رأسهم عبد الرحمن بن رستم (ت ١٧١هـ) وكان مقبلاً على تعلم أمر الإباضية بهمة عالية، فأرشده إلى شيخه أبي عبيدة مسلم في البصرة، فخرج إليه في أربعة نفر هو خامسهم عرفوا تاريخياً بلقب (حملة العلم).

---

(١) **مصادر ترجمته**: أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص٤١، الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**: ١/ ١١، أحمد بن سعيد الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٠-٩١، و١/ ١١٣، سليمان الباروني، **الأزهار الرياضية**: ص٤١، عمرو النامي، **دراسات**: ص١٠٠، و١١٠، ومهنا السعدي، **إضاءات حضارية**: ص٣١.

(٢) النص الذي خارج القوسين رواية في: أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص٤١، والنص الذي داخل القوسين رواية في الدرجيني، **طبقات المشايخ بالمغرب**: ١/ ١١.

٤ـ عبد الله بن مسعود التجيبي الحضرمي[1] (ت حوالي ١٣٠هـ):

من زعماء الإباضية في المغرب، وكان رئيسهم، قتل على يد والي طرابلس من قبل الأمويين إلياس بن حبيب الفهري (ت ١٣٨هـ)، وكان قدومه إلى طرابلس من قبل أخيه عبد الرحمن الفهري فيما بعد سنة ١٢٦هـ. ويعلل بعض الباحثين قتله المفاجئ مع عدم ظهوره بالدعوة أن الوالي أراد تخويف الإباضيين من القيام بأي حركة مريبة، ويقول الباحث النامي: «على أنني أعتقد أن هذا العمل ربما كان نتيجة مباشرة للثورات الناجحة التي قام بها إباضيو حضرموت واليمن في نحو ذلك الوقت، في وجه بني أمية لإنشاء دولة إمامة مستقلة». أهـ.

٥ـ الحارث بن تليد الحضرمي (ت ١٤٠هـ)[2]:

داعية إباضي، كانت الإباضية قد اجتمعت بعد مقتل عبد الله بن مسعود التجيبي بطرابلس وهو على رأسها، ومعه عبد الجبار بن قيس المرادي، وكانت بين الحارث وبين عمال بني أمية وقائع وأيام. وكان الناس أيامهما (الحارث وعبد الجبار) في (مرحلة الكتمان) ووقع بينه وبين عبد الجبار خلاف شديد فاقتتلا، ووجدت جثتاهما وسيف كل منهما في جسد الآخر، فوقع اختلاف كبير وفرقة شديدة في صفوف الإباضية في المغرب[*]، حتى

---

(١) **مصادر ترجمته:** ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها:** ص٣٧٢، عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية:** ص١١٢.

(٢) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر:** ص٣٧٢ وما بعدها، أبو زكريا، **سير الأئمة:** ص٥٧، الدرجيني، **طبقات المشايخ:** ١/ ٢٤-٢٦، الباروني، **الأزهار الرياضية:** ص٤١-٤٢، عوض خليفات: ص١٥٢، مهنا بن راشد السعدي، **إضاءات حضارية من تراث الإباضية:** ص١٢٣.

(*) مسألة الحارث وعبد الجبار، مسألة تتعلق بأصول الدين، **ينظر** تفصيل الحديث عنها في: الدرجيني، **طبقات المشايخ:** ١/ ٢٤-٢٦، الشماخي، **كتاب السير:** ١/ ١١٤-١١٥.

أتاهم كتاب أبي عبيدة مسلم من البصرة يأمرهم بالكف عن ذكرهما، وبويع بعد ذلك أبوالخطاب عبد الأعلى المعافري (ت ١٤٤هـ) على رئاسة الإباضية.

فهؤلاء ثلاثة من كبار الدعاة الإباضية في الشمال الإفريقي من الحضارمة، وهذه مجرد إلماعة إلى دور الحضارمة البارز في تاريخ هذه الطائفة الإسلامية، خارج إطار الإقليم الحضرمي الضيق، ونعود إلى الشأن الحضرمي الخاص.

حركة طالب الحق الكندي (١٢٨-١٣٠هـ)

لقد كانت حركةُ طالبِ الحقِّ حركةً سياسية كبيرة، كان لها تأثير وصدى واسع في العالم الإسلامي ودولة الخلافة آنذاك، لما قامت به من (انقلاب) وسيطرة عسكرية وسياسية على أجزاء من دولة الخلافة. انطلقت هذه الحركة من حضرموت لتشمل وتدخل تحت سيطرتها وسلطتها المباشرة مناطق واسعة امتدت إلى الحرمين الشريفين، مخترقة أعالي جبال اليمن، مكونة دولة إسلامية فتية على حين غفلة من السلطة الحاكمة للعالم الإسلامي آنذاك وهي دولة بني أمية. إنها حركة رائدة، وتجربة جسورة، قام بها الإباضية، ليعلنوا للعالم الإسلامي أن الشعوب الإسلامية قادرة على محو الحكم الاستبدادي القائم على التوريث في السلطة والحكم، وأن المسلمين قادرون على إعادة نظام الحكم الإسلامي الشوريّ إذا أتيحت له الفرصة للقيام، ولم يقمع بالحديد والنار، هذا رأي! وهناك آراء أخرى تخالف هذا الرأي، فهي تنظر لحركة طالب الحق أنها حركة غير مشروعة، تخفي وراءها مطامع شخصية، وأنها جلبت على حضرموت سوء الطالع، وأعادت إليها ذكرى يوم النجير وحروب مانعي الزكاة! وسيأتي في نهاية هذا المبحث تقييم لحالة وادي حضرموت في تلك الأزمنة الغابرة.

٦ـ طالب الحق؛ عبد الله بن يحيى الكندي (ت ١٣٠هـ)[١]:

هو عبد الله بن يحيى، من أعيان كندة، من بطن بني عمرو بن معاوية، هذا ما جاء به الأصفهاني في «الأغاني» الذي اعتمد عليه أكثر الباحثين، ولم يعلم تاريخ مولده، وكانت (شبام) حضرموت منطلق دعوته، وهي مسقط رأسه وبها نشأته.

وذكرت بعض المصادر: أنه كان من أصحاب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (الإمام الثاني) في البصرة، وأنه كان رفيقاً للخارجي المختار بن عوف الثقفي، المعروف بأبي حمزة الشاري، وبالغت بعض المصادر[٢]: فذكرت أنه كان رفيقاً لعبد الله بن إباض وموافقاً له في جميع أحواله وأقواله. وزادت بعض المصادر: أنه كان قاضياً في بلدة (الهجرين) بحضرموت[٣].

---

(١) **مصادر ترجمته وأخبار خروجه: [أولاً]: المصادر القديمة**: خليفة بن خياط، **التاريخ**، تحقيق أكرم ضياء العمري، (دار طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ): ص٣٨٤ وما بعدها، ابن سلام الإباضي، **بدء الإسلام وشرائع الدين**: ص١١٢-١١٣، محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**: ٤/ ١٤٩٣، أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**: ٢٣/ ٢٣٣، ابن خلدون، **تاريخ العبر**: ٣/ ١٦٦، الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩١-٩٢، الزركلي، **الأعلام**: ٤/ ١٤٤، وغيرها.

[**ثانياً**]: **المراجع والدراسات الحديثة**: محمد أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٢٧-١٤١، صالح الحامد، **تاريخ حضرموت**: ١/ ٢٠٦-٢١٣، سعيد باوزير، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**: ص٢٣٦-٢٥٤، المؤلف نفسه، **الصفحات**: ص٤٧-٥٥، المؤلف نفسه، **الفكر والثقافة**، (دار الطباعة الحديثة، القاهرة، ١٣٨١هـ): ص٦٥-٧٣، صلاح البكري، **تاريخ حضرموت السياسي**: ١/ ٦٤-٧٢، مهدي هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**: ص٨٧-١٤٧، نايف معروف، **الخوارج**: ص٢٢٣-٢٤١، سرجيس فرانتسوزوف، **تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده**، ترجمه من الروسية عبد العزيز جعفر بن عقيل، (المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م): ص١٤٦-١٦٤، سالم بن حمود السيابي، **الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز** (وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ١٤٠٠هـ): ص٧٧- ١٢٨.

(٢) الشهرستاني، **الملل والنحل**: ص١٤١.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٢٧.

وعلى اختلافها في تعليل سبب خروجه؛ ولكنها تجمع على أن السبب الرئيسي في خروجه: هو ما شاهده ولمسه من جور عمال بني أمية على الناس، فكتب إلى أبي عبيدة (الإمام الثاني) بالبصرة يستشيره في الخروج على العامل. فأيده وشجّعه على ذلك، بل استعجله في الظهور. وكتب له: «**إن استطعتَ ألا تقيم يوماً واحداً فافعل، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرةٌ من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه، ويخص بالشهادة منهم من يشاء**». وتقول بعض المصادر الإباضية القديمة(١): بأن أهل الشورى من المسلمين (يعنون بهذا أهل طائفتهم الإباضية) اجتمعوا في اليمن، فلما آنسوا من أنفسهم قوة خرجوا على ولاة بني أمية.

واتفقت المصادر على أنه تم جمع أموال لتأييد حركة الجماعة في حضرموت، فقد جمع له حاجب بن مودود (أمين سر الإباضية في البصرة) أموالاً كثيرةً، بلغت في يوم واحد عشرة آلاف درهم، اشتري بها سلاحٌ وعَتاد وأرسل مع أبي حمزة.

ثم إن كُلَّ من كتب عن حركة طالب الحق ـ من أهل حضرموت وغيرهم من الباحثين ـ يتكئون على ما جاء في «تاريخ الطبري»: من أن أبا حمزة لقي عبد الله بن يحيى مصادفة في موسم حج عام ١٢٨هـ، وذلك مستبعد جداً لأمور عديدة ذكرها الباحثون، فإن حركة كهذه لا يمكن أن تكون وليدة لقاء مصادف عابر، ومجرد اللقاء بين الرجلين غير كاف في التعرف على أصول مذهب كامل، كما أن أبا حمزة لم يكن ليبايع إلا من توفرت فيه شروط الإمامة في مذهبه، وهذا لا يتصور إمكانه في وقت قصير(٢).

---

(١) ابن سلام الإباضي، **بدء الإسلام**: ص١١٢.

(٢) عوض خليفات، **نشأة الحركة الإباضية**: ص١١، ١١٨، ١٧١، وصالح الصوافي، **من أعلام عمان، صورة مشرقة من حياة الرعيل الأول**: ص٤٥-٤٦.

بداية الحركة:

سار أبو حمزة الشاري، واسمه المختار بن عوف الأزدي أحد بني سلمة[١]، وبلجُ ابن عقبةَ السقوري، في رجال من الإباضية، من البصرة، فقدموا على عبد الله بن يحيى في حضرموت فحثُّوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه وفيها :«**إذا خرجتم فلا تغلّوا ولا تغدروا، واقتدُوا بسلفكم الصالحين**[٢]**، وسيروا سيرتهم، فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العيثُ لأعمالهم**». فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار الإمارة، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فأخذوه فحبسوه يوماً ثم أطلقوه، فأتى صنعاء. وأقام عبد الله بن يحيى بحضرموت وكثُرَ جمعُه، وسمَّوه (طالب الحق). وكان مركز الدعوة في البصرة يدعم الحركة معنوياً ومادياً، ففي «تاريخ خليفة بن خياط»: أن معظم جيش طالب الحق كان من إباضية البصرة[٣]،.وكان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (الإمام الثاني) قد وجه نداءً لأتباعه: «من أراد الدين، فليلحق بصاحبنا بحضرموت عبد الله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت!»[٤].

ثم سار طالب الحق بعد مدة إلى صنعاء بجيش قوامه ألفا (**٢٠٠٠**) مقاتل، ومر في طريقه إلى صنعاء بأبين ولحج، والتقى هناك بجيش عامل صنعاء القاسم بن عمر الثقفي (ابن عم الحجّاج) فهزمهم، ثم سار طالب الحق بجيشه المنتصر إلى صنعاء، وهناك ألقى القبض على نائب العامل، وعلى والي حضرموت الطريد ابن مخرمة مرة ثانية، واستولى على بيت مال صنعاء وخضعت له بلاد اليمن.

---

(١) هو المعروف في كتب التاريخ بأبي حمزة الشاري، أو الخارجي، قتل في معركة القرى سنة ١٣٠هـ مع طالب الحق. **ينظر**: الزركلي، **الأعلام**: ٧/ ١٩٢، وصالح الصوافي، **من أعلام عمان**: ص٣٥.

(٢) في هذه العبارة إشارة واضحة إلى كون طالب الحق كان داعية أصيلاً ومعتمداً في الفكر الإباضي.

(٣) خليفة بن خياط، **التاريخ**: ص٣٨٤.

(٤) الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٧٨.

خطبة طالب الحق في جامع صنعاء:

ثم ألقى خطبته الشهيرة في جامع صنعاء الكبير، قال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ): «لما استولى عبد الله بن يحيى على بلاد اليمن خطب الناس، فحمد الله جل وعز، وأثنى عليه، وصلى على نبيه ﷺ، ووعظ وذكر وحذر، ثم قال: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وإجابةِ من دعا إليهما، الإسلام ديننا، ومحمد نبينا، والكعبة قبلتنا، والقرآن إمامنا، رضينا بالحلال حلالاً، لا نبغي به بديلاً، ولا نشتري به ثمناً قليلاً، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى وعليه المعول. من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر، ومن شك في أنه كافر فهو كافر، ندعوكم إلى فرائض بينات، وآيات محكمات، وآثار مقتدىً بها. ونشهد أن الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم، وندعو إلى توحيد الرب، واليقين بالوعيد والوعد، وأداء الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية لأهل ولاية الله، والعداوة لأعداء الله.

أيها الناس: إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى، يقتلون على الحق في سالف الدهور، شهداء، فما نسيهم ربهم، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم:٦٤]، أوصيكم بتقوى الله، وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به، فأبلوا لله بلاءً حسناً في أمره وزجره. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم»[(١)]، انتهت الخطبة. فأقام مدة في صنعاء نشر فيها العدل، وقسم الأموال بالسوية بين الرعية[(٢)].

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**: ٢٣/ ٢٣٣.

(٢) **مصادر الخطبة**: أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**: ٢٣/ ١٠٥، والشماخي، **كتاب السير**: ص٩٩.

الإباضية يسيطرون على الحجاز:

سار أبو حمزة بجيش قوامه بضع مئات[1] من الشراة إلى الحجاز، فاقتحم مكة المكرمة ودخلها في **٢٨ ذي الحجة سنة ١٢٨هـ**، وفر عاملها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان الأموي إلى المدينة المنورة يوم العاشر قبل أن يدخل أبو حمزة[2]، وألقى أبو حمزة خطبة عصماء في الحرم الشريف. ثم استولى على الطائف، وبعدها توجه إلى المدينة المنورة، وكان عبد الواحد قد جهز جيشاً كبيراً لصد هجوم الإباضية، وسار الجمعان حتى التقوا في وادي قديد، في **صفر ١٣٠**هـ، وانتصر أبو حمزة وجيشه، وبلغ القتلى في جانب أهل المدينة أكثر من (٧٠٠ قتيل، وقيل: ١٧٠٠)، منهم (**٣٠٠**) من قريش وحدَها.

ودخل أبو حمزة المدينة في **١٣ صفر ١٣٠هـ**، وفر عبد الواحد إلى الشام، وأظهر أهل المدينة الطاعة لطالبِ الحق كرها، ولم يبايع منهم إلا نفر قلائل، وكانوا يعيدون صلاتهم خلفه، وألقى خطبة ثانية في حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن لم تدم سيطرة الإباضية على المدينة سوى ثلاثةَ أشهر تقريباً، ثم أخرجوا منها بعد قدوم جيش عبد الملك بن عطية السعدي (ت ١٣٠هـ) من الشام، فواجهه الإباضية في وادي القُرى فهزمه، وتقدم إلى المدينة فهرب أبو حمزة إلى مكة، وفتك أهل المدينة بمن بقي من الإباضية فيها، فدخلها السعدي منتصراً.

ولما بلغ طالب الحق هزيمة أصحابه في وادي القرى، عزم على التحرك، ولكن سبقه جيش السعدي إلى مكة، فحوصر أبو حمزة فيها، ثم برز طالباً المبارزة، فهزمه السعدي واحتزَّ رأسه، وأسرَ من جماعته نحو (٤٠٠ رجل) فأمر بقتلهم جميعاً، وصلب أبو حمزة وبعضُ أعوانه على فم شعب الخيف سنتين كاملتين، ولم تنزل بقاياهما إلا بعد

---

(١) مهدي طالب، **الحركة الإباضية**: ص١١٦.

(٢) مهدي طالب، **المصدر السابق**: ص١١٦ – ١١٧ .

قدوم دولة بني العباس، وهكذا انتهت فترة عصيبة مرت على أهل الحرمين الشريفين، بعد مقاومة عنيفة استمرت سبعة أشهر.

مقتل طالب الحق وانهزام الحركة:

لحِقَ من تبقى من فلول الإباضية المنهزمين بطالب الحق في اليمن، فوجَّه الخليفة مروانُ ابن محمد (الحمار) قائدَه عبد الملك السعدي إلى للقضاء على طالب الحق، فلقيه في منطقة (صعدة) تحت صنعاء، وجرت بينهم مناوشات، انتهت بسقوط طالب الحق قتيلاً تحت سيوف ابن عطية وجيشه، فقطع رأسه وأرسل به إلى الشام صحبةَ ابنه يزيد بن عبد الملك السعدي، الذي سار ليزفَّ البشرى إلى مركز الخلافة بسقوط ما يسمى **(إمامة الظهور)** عند الإباضية والتي دامت مدة ستة عشر شهراً.

ثم قام الإباضية بحركة دفاعية، فأقدموا على قتل عبد الملك بن عطية[(١)]، وهو سائر في طريقه إلى مكة ليتولى إمارة الحجيج، وحزوا رأسه كما فعل برأس إمامهم طالب الحق. وكان عبد الملك قد ولّى على صنعاء ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد السعدي، فما أن سمع بمقتل عمه حتى أرسل جيشاً بقيادة شعيب البارقي إلى حضرموت، فجعل يقتل النساء والصبيان ويبقر البطون وينهب الأموال[(٢)]، ولم يبقِ أحداً من قتلةِ ابن عطية من الإباضية إلا قتله، ومن البلاد التي وصلها الخراب والنهب: هينن، وحورة، وقعوظة، وشبام[(٣)].

ملخص التوجهات الفكرية لحركة طالب الحق:

١ـ يمكن للباحث دراسة التوجهات الفكرية لهذه الحركة بالعودة إلى رسائل أبي

---

(١) الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٩٨.

(٢) خليفة بن خياط، **التاريخ**: ص**٣٩٥**.

(٣) محمد بن أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ١/ ١٤٠-١٤١ .

عبيدة (الإمام الثاني) وتوجيهاته لطالب الحق، التي سبق ذكرها، والرجوع إلى مصادرها الأصلية.

٢ـ إن خطبة طالب الحق في صنعاء المتقدمة مهمة جداً للتعرف على أصول دعوته بل هي مهمة جداً لكل من يدرس تاريخ الإباضية، إذ منزلة طالب الحق عندهم كبيرة جداً، فهم يعدونه (أول إمام من أئمة الظهور)، وينزلونه بعدَ الشيخين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١]، وهذه منزلة كبيرة جداً.

٣ـ ومن الآثار الأخرى لطالب الحق: رسالته لرجل من أصحابه يدعى عبد الرحمن ابن محمد، كان حاكماً تحت إمرته، أوردها الباحث النامي في كتابه نقلاً عن مصدر نادر[٢].

٤ـ كما توجد رسالة (عهد) من محبوب بن الرحيل القرشي إلى طالب الحق، تعتبر إضافة جديدة إلى سيرته وتوجهاته الفكرية، وهذا العهد ورد في طبقات الدرجيني المغربي (ت ٦٧٠هـ)، ولم يوردها غيره من قدامى مؤرخي الإباضية في المشرق، ولهذا فلم تعلم إلا بعد طبع كتاب الدرجيني (سنة **١٣٩٥**هـ تقريباً)، وأول من نبه عليها: الباحث الإباضي د. صالح الصوافي في كتابه «من أعلام عمان، صور مشرقة من حياة الرعيل الأول»: (ص١٨٠)، ثم أورد نصها متبعاً إياه ببعض التوضيحات والإضاءات (ص١٩٩-٢١٠).

إلا أن هناك تساؤلات حول صحة هذا العهد، فإنّ طالب الحق كان خروجه سنة **١٢٩**هـ كما قدمنا، في عهد أبي عبيدة (ثاني أئمة الإباضية)، وكان في ذلك العهد من كبار الجماعة من يغطي على محبوب بن الرحيل وطبقته، إذ أن محبوبًا معدودٌ في تلاميذ الربيع بن

---

(١) عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص**٢٤٨-٢٤٩**، وانظر استشهادهم بل احتجاجهم بأفعاله في رسائلهم و(سيرهم) كما ورد عند أبي الحواري في **رسالته إلى أهل حضرموت**: ص**٣٥٧**.

(٢) د. عمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٦٦-٦٧.

حبيب، تلميذِ أبي عبيدة! فدرجته نازلة، وبالتالي فليس مثل محبوب في ذلك الزمان المتقدم والوقت المشحون بالكبار من يوجه (عهوداً) وتوجيهات لمثل طالب الحق في أمر خطير.

اللهم إلا إن قلنا أن هذه الرسالة (العهد) من قبيل الرسائل الإخوانية، لاحتمال تقارب عمريهما، أعني: طالب الحق الكندي، ومحبوب بن الرحيل، والله أعلم.

الإباضية في حضرموت بعد مقتل طالب الحق (سنة ١٣٠هـ):

قام بالإمامة بعد مقتل طالب الحق أحدُ كِبار قواده وهو عبد الله بن سعيد الحضرمي، ثم في سنة **١٤١**هـ ـ أو التي تليها ـ قدم معنُ بن زائدة الشيباني (ت **١٥١**هـ) بتولية من أبي جعفر المنصور، وفعل بإباضية حضرموتَ الأفاعيل تنكيلاً بهم، جزاءَ ما عملوه في حربهم مع طالبِ الحق، وراح ضحية همجيته ووحشيته قرابة (خمسة عشر ألفاً) من حضرموت وحدها[١]، فكان جزاؤه أن قتلَ على يد واحد منهم وهو بأرض سجستان (كما سيأتي).

قال العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢**هـ): «سمعت سيدي وشيخي [يعني به: العلامة أحمد بن حسن العطاس، ت سنة **١٣٣٤**هـ] يقول: إن **البَرشَة**، الموضعَ المعروفَ أسفلَ من بلدِ (هَدُون)، سمي بذلك لأن جيش **معن** برشَ الخوارج هناك؛ ومعنى برش بلغة أهل حضرموت: استأصل»[٢].

---

(١) مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق**: ص١٢٤، ١٢٨، و الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ١/ **١٢٥، ١٤٣-١٤٤**. ويضيف شيخنا الشاطري ص١٤٤: «الرجل يضرب به المثل في الشجاعة والكرم، لولا أنه متهور فيما عمله بحضرموت واليمن، كقائد لم تجد الرحمة إلى قلبه سبيلاً، ولم يؤنبه ضميره على ما اقترفته يداه»، إلخ، **قلت**: وقد وصفه الذهبي وغيره من أئمة الإسلام بالجور والعَسف، وليس كل المؤرخين أثنى عليه.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص١٤٠ .

٧ـ عبد الله بن سعيد الحضرمي (ت بعد ١٧٩هـ)[١]:

كان قائداً كبيراً في حروب طالب الحق بحضرموت، ولما قدم جيش عبد الملك السعدي إلى حضرموت بعد مقتل طالب الحق (ت ١٣٠هـ) تصدى لقتاله ومواجهته، ثم تحصن بشبام، فكانت الحرب بينهما سجالاً[٢]، ثم غادر السعدي بعد أن اصطلح معهم، وقتل في الطريق كما قدمنا. وتولى عبد الله بن سعيد إمامة الإباضية في حضرموت بعد مقتل طالب الحق، وجعل قاعدته مدينة شبام، ولكن أهل حضرموت لم يجمعوا على إمامته، فبايعوا رجلاً آخر يدعى (حسن، أو: خنبش)، وحبسوا عبد الله وجعلوا القيد في يديه. فقدم كبار الجماعة من البصرة وفيهم أبو أيوب وائل الحضرمي، وحاجب بن مودود (أمين السر)، وكان أصحاب عبد الله لا يريدون الحرب، وطلبوا من الجماعة أن يحكُموا بخروج المعارضين من بينهم، فحكم حاجبٌ لهم بذلك، وكان ذلك بعد سنة ١٧٩هـ[٣]، مما يفيد بقاءه حياً إلى هذا التاريخ.

٨ـ زحر الحضرمي[٤] (ت حوالي ١٤٢هـ):

من رجال الدعوة الإباضية، اختفى في بعض القرى الحصينة في حضرموت عند قدوم معن بن زائدة الشيباني (ت ١٥١هـ) عند ابن عم له، وكان ابن عمه ذلك صاحب حظوة ومكانة عند معن، فطلبَ الأمان لابن عمه زحر من مَعن فأمّنه، فسار حتى قدم به

---

(١) تحرف اسمه في طبعة كتاب الأغاني إلى (عبد الله بن معبد الجرمي). **وينظر**: الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ٨٥، وعبد الله السالمي، **تحفة الأعيان**: ص١١٠، الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ١/ ١٢٥، وعمرو النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص١٠٦-١٠٧، وص١٣٤، مهدي طالب، **الحركة الإباضية في المشرق**: ص١٤٠-١٤٤.

(٢) خليفة بن خياط، **التاريخ**: ٣٩٤، مهدي طالب، **الحركة الإباضية**: ص١٤٣.

(٣) كما يؤخذ من: عبد الله السالمي، **تحفة الأعيان**: ص١٠٩.

(٤) الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ١٠٧.

إلى معنٍ فقتله، بعد أن أمنه. قال أبو وائل ـ راوي هذا الخبر ـ: فسألنا أبا عبيدة، فقال: يُقتَلُ علانيةً وسراًا! **فقالوا**: لا نتهمُه على ابن عمه، **قال**: أيعرِفُ أن مَعْناً يقتُلُ بعدَ أن يُؤَمِّنَ؟، **قلنا**: نعم، قال: يُقتَلُ سراً وعلانيةً.

قلت: هذه مسألة أصولية من مسائل الإباضية. ويُشْتَمُّ من هذا النص: أن ابن العم كان من أهل الدعوة أيضاً، وكان عليه أن لا يسلم ابن عمه (زحراً) إلى معن لعلمه بغدره، لذلك كان حكم الجماعة على ابن العم هذا بالقتل، جزاء تسليمه (زحراً) لمعن، والله أعلم.

٩ـ محمد بن عمرو الحضرمي (ت بعد ١٥١هـ)(١):

من بني الحارث بن حضرموت الأصغر، كان أبوه ملكاً بحضرموت فقتله معن فيمن قتل، وترك أولاده أيتاماً، فلما كبر محمد هذا سار في فجاج الأرض يطلب ثأر أبيه ويسأل عن معن، حتى علم أن المنصور ولاه على بست من أرض سجستان، وكان قد وليها من قبل أبي جعفر فأساء السيرة، على ما روى الخطيب البغدادي في تاريخه، فكمن له سنة حتى تمكن منه متنكراً في زي عامل بناء، وذلك سنة **١٥١**هـ، وقيل: سنة **١٥٢**هـ، وقيل: سنة **١٥٨**هـ.

وقال في ذلك شعراً:

خرجتُ له والقلبُ منِّي كـأنَّـه ... تـجيشُ غـواشِيـه بنـارٍ تضرَّمُ
حللتُ به وَتْرِي ولم آلُ خـائبـاً ... وكـــان فـــؤادي حـرُّه يتَهجَّمُ

---

(١) **مصادر ترجمته**: الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**: **١٥/ ٣١٦** (ضمن ترجمة معن رقم: ٧١٥٦)، الهمداني، **الإكليل**: **٢/ ٣٢٧**، نشوان الحميري، **خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة**، (المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الثانية، **١٣٩٥**هـ): ص**١٨٣-١٨٥**، ابن خلكان، **وفيات الأعيان**: **٥/ ٢٤٤**، ابن الديبع، **قرة العيون**: ص١١١-١١٢، الزركلي، **الأعلام**: **٧/ ٢٧٣**، الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٤٣.

فأطعنتُه تحتَ الشراسِيف طعنةً | وأخرَى بــرأسٍ للفــؤاد تهدِّمُ
فهذا بمــا قدمتَ معْنُ ولم أكُنْ | لأقعدَ حتى تُمسِ لحمــا يقسَّمُ

ولما عاد إلى حضرموت لقيه أعيانها مهنئين له بالظفر، وألبسوه التاج، وللشعراء في معن مراث كثيرة، لا نطيل بذكرها.

سِيرَةُ[1] محبوبِ بن الرُّحَيل[2] إلى أهل حضرموت، (بعد ١٧٠هـ):

وهي خطاب مطوَّل يحتوي على نصوص عقدية وفكرية معقدة من تعاليم الإباضية، تتعلق بعلم الكلام والتوحيد، كتبها الإمام الإباضي الكبير محبوب بن الرُّحَيل القرشي العماني (ت حوالي ١٩٥هـ)، الملقب (أبو سفيان)، أحد كبار الزعماء والقادة الإباضيين، إلى أهل حضرموت يحذرهم فيه من بدعة نجمت على يد عالم منهم اسمه (هارون بن اليمان)[3]، وكان محبوبٌ تبعَ في هذه المسائل مذهب العجاردة كما يقول العلامة علوي بن طاهر الحداد[4].

ولم أجد في المصادر الإباضية تحديداً لزمن ظهور الداعية هارون، ولكن الدلائل تشير إلى ظهوره في النصف الثاني من القرن الثاني (بعد ١٥٠هـ)، وأرجح أنه ظهر بعد سنة ١٧٠هـ، كما يعلم من تتبع السير والجوابات الإباضية وكتب التاريخ الخاصة بتلك الفترة.

---

(١) **السيرة في التراث الإباضي**: يعبر بها عن الخطابات الدينية والرسائل السياسية التي يبعثها زعماء الدعوة إلى أتباعهم، تحتوي توجيهات مذهبية وعقدية، والصفة الغالبة على هذا النوع من الخطابات «السير»: كثرة الاستشهاد بسير القدامى من دعاتهم، فلعلها أخذت مسماها من هذه الحيثية.

(٢) **مصادر ترجمته**: الدرجيني، **طبقات المشايخ**: ٢/ ٢٧٨، الشماخي، **كتاب السير**: ١/ ١٠٨، الصوافي، **من أعلام عمان**: ص١٧١-٢١٠، مجموعة علماء، **السير والجوابات**: ص٢٧٣، و ٣٠٥.

(٣) عاش إلى ما بعد سنة ٢٢٦هـ، **ينظر**: السالمي، **تحفة الأعيان**: ١/ ١٤٨-١٤٩.

(٤) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص١٢.

ونستخلص أموراً هامة؛ منها: أن إباضية حضرموت بقوا على صلاتهم بالزعامة الدينية الإباضية التي تحولت إلى عمان، واهتمام الزعماء بحضرموت وأهلها، وتوجيه النصائح والإرشادات إليهم، خوفاً عليهم من تغير عقائدهم ودخول أفكار جديدة عليها، ولكنهم كانوا قد انتحلوا مذهب هارون، مخالفين في ذلك ما دعاهم إليه محبوب.

نسختها:

طبعت هذه (السيرة) ضمن كتاب (السير والجوابات) لعلماء وأئمة عمان في القرون الأولى، نشرته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، بتحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، صدرت طبعته الثانية سنة **١٤١٠**هـ: (ص**٣٠٥** – **٣٢٥**).

إباضية حضرموت في القرن الثالث الهجري

١٠ـ إبراهيم الموفق الحضرمي[1]:

من إباضية الحضارمة بمصر، عاش في أول القرن الثالث الهجري، ذكره ابن سلاَّم الإباضي (ت بعد **٢٧٣**هـ) في كتابه، وأثنى عليه بقوله: «فقيه مُفْتٍ، عالم القرآن، وكان مشهوراً». وذكر أنّ والدَه سلاّم بن عمرو (ت حوالي **٢٢٠**هـ) لقيه في مصر، وكان يكاتبه منها، قال ابن سلام: «وداره بحضرموت بمحرِس، وفي كتابه إلى والدي من مصر في حياتهما عرفت بنعته موضع داره»[2]. وقوله (بحضرموت) أي: في ديار قبيلةِ حضرموتَ النازلةِ بمصر شرقيَّ الفسطاط.

---

(١) **مصدر ترجمته**: ابن سلام الإباضي، **بدء الإسلام**: ص**١١٥**.

(٢) ابن سلام الإباضي، **المصدر السابق**: ص**١١٥**.

١١ـ سليمان بن عبد العزيز الحضرمي[١]:

إمام من أئمتهم بحضرموت، ذكر في ثنايا الرسائل «السير» التي كتبت بعد عام **٢٦٠**هـ، ومنها: «سيرة أبي المؤثِّر»، الصَّلتِ بن خميس الخروصي، الذي عاش إلى أواخر القرن الثالث[٢]، المسماة «الأحداث والصفات»، ومما جاء فيها: «بلغنا أن إماماً من أئمة المسلمين، يقال له سليمان بن عبد العزيز في حضرموت، أنفق مائة ألف درهم على لطمة حتى أنصف المظلوم، فلو رأى أن دون هذا يسعه أو يحل له، لاتَّسعَ بدون هذا»[٣]. انتهى. أتى هذا النصُّ في سياق كلامٍ لأبي المؤثر يدل على أنه ممن أجمعوا على إمامته.

وورد ذكره في «سيرة أبي الحواري» إلى أهل حضرموت[٤] (الآتي ذكرها) في معرض ضرب المثل بعدله وأنه لم يكن في زمانه من يشابهه، بدون ذكر للقصة السابقة.

سيرة أبي الحواري العماني لأهل حضرموت؛ بعد ٢٧٨هـ:

هذه «السيرة» التي تم الاطلاع عليها في المصادر الإباضية، تكشف الضوء عن أسماء أشخاص من دعاتهم في حضرموت، وهم وإن جهلت أعيانهم، وخفيت تراجمهم، فهذا هو الشأن في غالبية تراثهم في حضرموت الذي نحاول الكشف عنه وتسليط الضوء عليه، ووضعيتها تشابه إلى حد كبير وضعية «سيرة محبوب بن الرحيل»، السابق ذكرها.

---

(١) لا توجد لدينا مصادر لترجمته سوى ما ورد في الرسائل العمانية المشار إليها.

(٢) يرجح البعض أنه مات بعد سنة **٣٠٥**هـ، **ينظر**: د. جاسم ياسين الدرويش، **مقدمة كتاب الأحداث والصفات لأبي المؤثر**: ص(ص).

(٣) أبو المؤثر الصلت الخروصي، **الأحداث والصفات**، ضمن كتاب السير والجوابات لأئمة عمان، تحقيق سيدة كاشف: ص**٥١**، والمصدر نفسه، بتحقيق جاسم الدرويش، (وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، الطبعة الأولى، **١٤١٧**هـ): ص**٣٧**.

(٤) أبو الحواري، **سيرة أبي الحواري إلى أهل حضرموت**، ضمن كتاب السير والجوابات: ص**٣٤٢**.

تقول هذه السيرة في أولها، بعد البسملة: «إلى أبي عبد الله، وأبي عمر، وأبي يوسف محمد بن يحيى بن عبد الله بن مرة[1]، وأحمد بن سليمان، ومحمد بن عمر، وعبد الرحمن بن يوسف، إخواننا من أهل حضرموت، من أخيهم أبي الحواري محمد بن الحواري العماني .. »، إلخ.

وهذه «السيرة» حافلة بذكر الكثير من السير والأخبار لمن عاصرهم كاتبها من أئمة الإباضية في عمان في ذلك العصر، وتعتبر وثيقة تاريخية وفكرية هامة جداً.

أما تاريخ هذه السيرة: فهي قطعاً كتبت بعد سنة **٢٧٨هـ**، لأمرين: **أولهما**: ورود اسم القاضي محمد بن محبوب بن الرحيل والترحم عليه، وهو توفي سنة **٢٦٠هـ**، ما لم يكن الترحم مضافاً من النساخين! **والثاني**: وقوف كاتبها أبي الحواري عن أمر موسى بن موسى وراشد بن النضر، اللذين خرجا على بعض الأئمة في عمان، وقتل موسى سنة **٢٧٨هـ** على يد الإمام عزَّان الخرُوصي (ت **٢٨٠هـ**)[2]، وقد افترق الناس في أمرهما، فكان موقف أبي الحواري الوقوف عن ذلك.

---

(١) يقارن بين هذا الاسم وما ورد عند: الهمداني، في **الإكليل**: بتعليق محمد بن علي الأكوع، (منشورات المدينة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ): **٢/ ٤٩**، فإنه ذكر بالنص: (محمد بن يحيى الخارجي)، ورفع نسبه في بني ناعمة من الصدف، ولكن المعلق على الكتاب **زعم** في تعليقه على هذا الاسم: إن محمد بن يحيى غيرُ معروف**!** وأن **الصوابَ**: إنما هو عبد الله بن يحيى؛ طالب الحق**!** وعزا ذلك إلى تصحيف النساخ. أما أنا فأخالفه، وأعتقد أن من ذكره الهمداني هو عين الشخص الذي ورد في «**سيرة أبي الحواري**» الإباضي. **ينظر عن تحريفات الأكوع**: أحمد محمد الشامي، **جناية الأكوع على ذخائر الهمداني**، (دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، **١٣٩٩هـ**).

(٢) السالمي، **إتحاف الأعيان**: **١/ ٢٤٤-٢٤٥**. وخبر موسى وراشد مشهور، وما ألف أبو المؤثر الصلت الخروصي كتابه «الأحداث والصفات» إلا لوقوع تلك الأحداث.

نسختها:

طبعت هذه «السيرة» ضمن كتاب «السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان»، نشرة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، بتحقيق الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، في طبعته الثانية سنة **١٤١٠**هـ: (ص **٣٣٧ – ٣٦٥**).

إباضية حضرموت في القرن الرابع الهجري

في مطلع هذا القرن نجد مؤرخ اليمن الشهير الهمداني (عاش إلى ما بعد **٣٤٤**هـ) يذكر عن الإباضية معلومات هامة في كتابه «صفة جزيرة العرب»، فقد جاء فيه بعد أن ذكر بعض القرى التي تقطنها قبيلة تجيب وهي بلدة (رخية) بوادي عمد: «وإباضتهم قليلة، وأكثر ذلك في الصدف، لأنهم دخلوا في حمير»[١]. انتهى. وقال: «وأما موضع الإمام الذي يأمر وينهى ففي مدينة دوعن»[٢]. انتهى.

فقوله: (مدينة دوعن) يشعر أن المراد كبرى مدن وادي دوعن، وكبراها هي مدينة الخريبة. ويذهب العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢**هـ) إلى أن موضع الإباضية في وادي دوعن يقال له (جَزْعُ الصَّدِف)[٣]، قريب من بلدة (بُضَةْ) وغير بعيد من (الخريبة).

وفي قوله: (يأمر وينهى) إشارة إلى انتقال موضع القوة والسلطة من (شبام) إلى وادي دوعن بعد زمن طالب الحق، وفي كلامه دلالة قاطعة على أن أهل حضرموت لم يكونوا كلهم على ذلك المذهب، وفيه رد ضِمْنيٌّ على ما سيأتي نقلاً عن الرحّالة البشاري: في تعميمه الوصف على الحضارمة بأنهم (شراة)!

---

(١) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**: ص١٧٢.

(٢) الهمداني، **المصدر السابق**: ص١٧٠-١٧١.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص١٣٩.

ومن أعيان إباضية ذلك العصر: محمد بن يوسف التجيبي، كان رئيسهم في (رخية)، ذكره الهمداني في «الصفة» وذكر جماعة آخرين، ولعله من قرابة (عبد الرحمن بن يوسف) الذي ورد ذكره في «سيرة أبي الحواري» إلى أهل حضرموت، حسبما ذكرته قريباً.

السيد المهاجر؛ أحمد بن عيسى العلوي[*] (ت ٣٤٥هـ) والإباضية:

في ذلك العصر، وبالتحديد في عام ٣١٨هـ، قدم أحد العلويين الأشراف من البصرة إلى حضرموت، فاراً بذريته من جحيم الفتن التي اشتعلت في البصرة خاصة بعد ثورة الزنج التي دامت قرابة (١٤ عاماً) من سنة **٢٥٥**هـ وحتى سنة **٢٧٠**هـ، تلاهم ظهور القرامطة في سواد الكوفة وانتشارهم الفظيع إلى أن قاموا سنة **٣١٧**هـ باقتلاع الحجر الأسود من موضعه في الكعبة المعظمة وأخذه إلى البحرين ومنعوا الحجيج من الوقوف في تلك السنة[١].

وتفاصيل هجرته وترجمته ليس هنا موضعها، والذي يعنينا هو ما ورد في ترجمته في مصدر متأخر لمؤرخ في القرن الحادي عشر الهجري: «من أن الخوارج الإباضية دخلوا تحت طاعته، وأن الله أطفأ به نار البدعة في حضرموت، وأنه تاب على يديه خلق كثير، ورجع من البدعة إلى السنة جم غفير، وأن على يديه كان انتشار المذهب الشافعي»[٢]!

(*) **مصادر ترجمته:** علي بن أبي بكر السكران، **البرقة المشيقة**، (طبعة خاصة، القاهرة، ١٣٤٧هـ): ص**١٣٣**، محمد بن علي خرد، **غرر البهاء الضوي**، (مطابع المكتب المصري الحديث، الطبعة الأولى، **١٤٠٥**هـ): ص**٦٩**، و**٣٣٥**، محمد بن أبي بكر الشلي، **المشرع الروي**، (طبعة خاصة، هـ): ١/ ١٢٣-١٢٧، وأفرده بكتاب مستقل: محمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح، **الإمام المهاجر**، (دار الشروق، جدة، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٠هـ).

(١) عن أخبار القرامطة، ينظر: د. سهيل زكار، **الجامع في أخبار القرامطة**، (دار حسان، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ): ١/ ١٢٨، وما بعدها.

(٢) الشلي، **المشرع الروي**: ١/ ١٢٧، ونقل عنه: أحمد بن زين الحبشي (ت ١١٤٥هـ)، **شرح العينية**، (مطبعة كرجاي، سنغافورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ): ص١٣٤، بدون تصريح بذكر الإباضية.

بينما لم يرد هذا في أقدم المصادر المتوفرة (القرن التاسع)[١]، غاية ما ورد في المصدر الأقدم: أنه نال هو وذريته بهجرته وانتقاله: «سلامتهم مما التبس به أشراف العراق من العقائد الفاسدة، وفتن البدع وظلماتها، ومخالفة السنة وأهلها، وموافقة الشيعة في قبائح معتقداتهم ..»، إلخ.

الإباضية ووقْعةُ بَحْرَان:

ويذكر بعض مؤرخي حضرموت أن هناك وقعةً (معركة) مسلحةً تُعرَفُ بوقعة (**بَحْرَان**)، موضع بحضرموت في منطقة الكَسْر، ولكن المصادر والدلائل التاريخية القديمة تضعف ولا تقوى على إثبات مثل هذه الأخبار[٢]. ويذهب البعض ـ تبعاً للمؤرخ الشلي أيضاً ـ إلى أن السيد المهاجر استعمل معهم الأساليب الكلامية، أي: بالمناظرة، ومقارعة الحجة بالحجة.

واستنتجوا من ذلك: استبعاد ما يقال عن (وقعة بحران) المزعومة، كما أخذوا من تنقل السيد المهاجر وأحفاده في عدة قرى وعدم استقرارهم في مدينة (تريم) إلا في مطلع القرن السادس: أن هناك ضغوطاً مورست عليهم من قبل (الإباضية) في الهجرين والجبيل ـ وفي هاتين القريتين كان نزله وأولاده أول ما وطئت أقدامهم أرض حضرموت ـ وهما من قرى (دوعن)، وبهما مساكن قبيلة الصَّدف، كما تقدم النقل قريباً عن الهمداني،

---

(١) هو كتاب **البرقة المشيقة**: ص١٣٣، وأقدم مصدر قبله: **الجوهر الشفاف**، للشيخ عبد الرحمن الخطيب التريمي (ت ٨٥٥هـ)، مخطوط، ومحتوياته: كرامات وقصص (محلية) مسندة.

(٢) خبر هذه الوقعة نُقل عن: أحمد بن حسن العطاس (ت ١٣٣٤هـ)، **السفينة**، (مخطوط)، وممن نقلها عنه: عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف (ت ١٣٧٥هـ) في كتابه الكبير «**بضائع التابوت**»، (مخطوط)، وعنه: سعيد باوزير، **الصفحات**: ص٦٠-٦١، وقد نقَل باوزير تشكك السقاف فيها، بينما لم يورد السقاف خبر هذه الوقعة في كتابه الآخر (إدام القوت)، عند ذكره منطقة (بحران): ص٤٦٢.

وهؤلاء فيهم إباضية كثيرة[١]. وأما الكلام عن مذهب السيد المهاجر وهل كان انتشار المذهب الشافعي حقاً على يديه؟ فهذا نرجئه إلى موضعه أول الباب الثالث.

المؤرخ المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) يصف حضرموت:

وجاء في كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمؤرخ علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، قوله لما ذكر حروب بني أمية ضد طالب الحق: «ولحِقَ بقيةُ الخوارج ببلاد حضرموت، فأكثرها إباضية إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٢هـ)، ولا فرق بينهم وبين من بعُمَانَ من الخوارج في هذا المذهب». انتهى.

الجغرافي ابن حَوقل البغدادي (ت ٣٦٧ هـ ؟) يصف حضرموت:

وفي هذا القرن قدّم الرحّالة ابن حَوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ؟) وصفاً لحضرموت في كتابه «صورة الأرض»، وقال عن سكّانها: «ودينهم الخارجية، على رأي الإباضية منهم»[٢].

المؤرخ البشاري المقدسي (ت ٣٨٠هـ؟) يصف حضرموت:

وممن ذكر حضرموت من المؤرخين من أهل هذا القرن أيضاً، المؤرخ الرحالة محمد ابن أحمد البشاري (ت ٣٨٠هـ؟)، في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، فإنه لما

---

(١) عبد الرحمن السقاف، **إدام القوت**: ص٤٦٢، علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص٥، صالح الحامد، **تاريخ حضرموت**: ١/ ٣٠٥ وما بعدها، سعيد باوزير، **صفحات من التاريخ الحضرمي**: ص٥٨-٦٠، محمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٥٠، ومحمد ضياء شهاب وعبد الله بن نوح، **الإمام المهاجر**: ص٥٩.

(٢) أبو القاسم محمد ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، (مصورة عن طبعة ليدن، ١٩٣٨م): ٣٨. وهذا النص نقله عنه ابن خلدون في «**تاريخه**»: ٣/ ١٧٠.

ذكر حضرموت قال عنها: «**حضرموتُ**: هي قصَبةُ الأحقافِ، موضوعةٌ في الرمال، عامرةٌ، نائيةٌ عن الساحل، آهلةٌ، لهم في العلم والخير رغبةٌ، إلا أنَّهم شُراةٌ شديدٌ سُمرَتُهم»(١). انتهى.

فوصفُه لهم بأنهم (شُرَاة) ـ وهو وصف من أوصافِ الخوارج كما قدمنا سابقاً ـ مع التعميم غيرُ مستقيم، لوجود غير الإباضية فيهم بدون شك، فالنقول لا تدل على أن جميع أهل حضرموت أُكْرِهوا على انتحال عقيدة الإباضية(٢).

إباضية في حضرموت في القرن الخامس الهجري

تأتي معلومات نزرة ويسيرة عن شخصيات كان مصدر ذكرها ما خلفته من أثار علمية كمثل شخصية أبي إسحاق الهمداني، إبراهيم بن قيس، الذي ظهر في حضرموت في منتصف القرن الخامس الهجري، وترك أعمالاً علمية خالدة، أبقاها الله تعالى إلى يومنا هذا ليذكر بها وتكون دليلاً على تاريخ حقبة مجهولة من تاريخ حضرموت.

١٢ ـ قيس بن سليمان الهمداني الشبامي الحضرمي (كان حياً سنة ٣٢٠هـ):

والد أبي إسحاق الآتي ذكره، كان عالماً فقيهاً، من كبار شخصيات الإباضية عاش في شبام حضرموت، لم يرد ذكره في المصادر القديمة سوى ما جاء عرضاً في ديوان ابنه أبي إسحاق، ومنه استطعنا التعرف على بعض معالم شخصيته. ومن مدائحه فيه، قوله:

---

(١) محمد بن أحمد البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (نشرة ليدن هولندا، ١٩٠٦م، مصورة): ص٩٦.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص١٢.

لكـنْ أَبي لا زالَ عـنـي ظلُّــه | للـدينِ طَـودٌ حـامـلُ الأثقالِ
مـا نَابنـي من نـائـبٍ أو نـابَه | يـومـاً فكـانَ لـه رخيَّ البـالِ
للـه مـا أقـواهُ مـن شيخٍ على | جهدِ البلا والخصْبِ والإمحالِ
أُعطيْ قِيادَ الصبرِ فاستولَى بـه | حسـنَ الثنا والصبرُ عِلقٌ غالي
تلقَى أبي من غيرِ عُدمٍ طـاويًا | في ثـوبِ قُطـنٍ وهو جَمُّ المالِ
شيخٌ له أصلٌ قـديـمٌ مـجـدُه | ذو نجـدةٍ عنـد التِقَا الأبطالِ
ما كـانَ في أمـنٍ ولا في خيفـةٍ | بالطائشِ الرِّعديدِ في الأوجَالِ
بل رَاسبيٌّ أصلُـه مـن يعـرُبٍ | إذ قلَّ أهلُـوها مـع القُـلاَّلِ(١)

ويبدو من هذه الأبيات أن والده كان ثرياً، وأنه قام بتفريغ ابنه لطلب العلم والتفقه في الدين، حتى بلغ في المذهب مبلغاً كبيراً، ولم يبلغنا عن تفاصيل حياته شيء يذكر.

منزلته العلمية:

نقل عنه ابنه أقوالاً كثيرةً في مؤلَّفه الفقهي «مختصر الخصال»، منها:

١ـ ما جاء في (ص١٣٨) باب الضحايا (الأضاحي) قوله: «قال **قيس بن سليمان**: وقد قيل: يجزئ منها ما يقدر».

٢ـ ومنها (ص١٤٤) في الرهن، قوله: «قال **قيس بن سليمان**: وإذا قبضه بعد ذلك فإذا هلك هذا الرهن في يد من هو معه كان ضامناً، إلا الأمين فلا ضمان عليه، وهو في ضمان المرتهن إن أمره بقبضه».

(١) إبراهيم بن قيس الحضرمي، **السيف النقاد**، تحقيق بدر اليحمدي، (شركة المعالم للإعلام والنشر، سلطنة عمان، ١٤٢٣هـ): ص٣٦٨ – ٣٦٩.

١٣ـ إبراهيم بن قيس؛ أبو إسحاق الهمداني الحضرمي[١] (٤٢٠؟-بعد ٤٧٥هـ):

هو الإمام الفقيه الشاعر الفارس إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني، الشبامي الحضرمي، أبو إسحاق، وقيل: أبو محمد، أحد أئمة الإباضية في حضرموت، وأحد من تعتمد أقواله ومؤلفاته الفقهية في المذهب الإباضي. مولده في مدينة شبام بحضرموت[٢] بين عامي (٤٠٩ – ٤٢٥ هـ)، وأخذ العلم عن أبيه قيس بن سليمان المتقدم ذكره، ولم يجد الباحثون أي إشارة إلى تلقيه العلم عن غير والده المذكور.

وشخصيته كانت محلَّ ريبة من بعض المؤرخين من المتأخرين، الذين كان قد خالجهم الشك في وجوده، لأمور عديدة، ليس هذا موضع بحثها، بيد أنها تعرضت للنقد والنقاش

---

(١) **مصادر ترجمته**: سليمان الباروني، **مقدمة ديوان السيف النقاد**، (الطبعة المصرية الأولى، القاهرة، ١٣٢٤هـ): ترجمة الشاعر بقلم الناشر بآخر الكتاب، ابن عبيد الله، **إدام القوت**: ص٥٣٧، سعيد باوزير، **صفحات من التاريخ الحضرمي**: ص٦٦- ٧٩، المؤلف نفسه، **معالم تاريخ الجزيرة**: ص٢٤٦-٢٥٣، صالح الحامد، **تاريخ حضرموت**: ص٢٦٧- ٢٧١ (حاشية)، الزركلي، **الأعلام**: ١/ ٥٨، والشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٢٦، بامطرف، **الجامع**: ص٣٢، والمستشرق الروسي د. سرجيس فرانتسوزوف، **تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي**: ص١٩٢-١٩٥، بدر اليحمدي، مقدمة تحقيقه لديوان إبراهيم بن قيس الحضرمي، **السيف النقاد**: ٤ – ١٨.

(٢) تشكك البعض في صحة كونه ولد في (شبام حضرموت) وهو (همداني) وشبام إنما هي بلد (حمير) وبها بعض من (كندة) حسب ما ذكره الهمداني في «**الصفة**»: ص١٧١، ولكن هذا الشك يزول إذا طالعنا قول نشوان الحميري (ت ٥٧٣هـ) في «**الحور العين**»: ص٢٥٦-٢٥٧: «ومن الإباضية باليمن: طائفة من همدان في مغارب همدان، ومنهم أيضاً طائفة بحضرموت من همدان أيضاً، من (نشق) بطن من بطون همدان». انتهى، وهو نصٌّ قاطع وهام، وقريب من زمن صاحب الترجمة، على أن الهمداني نفسه قد نص على وجود قبيلة (نشَق الهمدانية) في حضرموت في «**الإكليل**»: ٢/ ٣٢٨، كما أن قوله في «**الصفة**» عن شبام (ص ١٧٠) أنها: «وشبام مدينة الجميع الكبيرة» يشير لذلك.

والتمحيص، وثبتت أمور كانت قابعة في حيز الشكوك والظنون، من أهمها: العثور على نسخ خطية من ديوانه الذي كان يظن أنه صنع على يد بعض أدباء الإباضية[1].

اعتزازه بمذهبه:

أكثر أبو إسحاق من التصريح بمذهبه في شعره، كما أكثَرَ من مدح أقطاب الخوارج الأوائل الذين انتمى إليهم ابنُ إباض، أمثال: عبد الله بن وهب الراسبي، وإمام المذهب جابر ابن زيد، فقد مدحهم وأطنب القول فيهم، ومن قصائده السائرة الشهيرة:

فقلتُ: وما يبكيك يا خَودُ لا بكت ... لكم عينُ ما هبت رياحٌ زعازعُ
فقالتُ: بكيتُ الدينَ إذ رثَّ حبلُه ... وللعلَما لما حوتها البلاقعُ
فقلتُ لها: إن شئتِ تسلينَ فامهلي ... عليَّ ألا أنبئكِ أين الجمائعُ
وأين ملاذُ الآملينَ وخائفٍ ... وكهفُ اليتامى إن عَرتها المقاطعُ
وأين الأُولى إن خوطبوا عن ضَلالةٍ ... يردّوا سلاماً للمعالي أراوعُ
وأين الأولى إن خُوطبوا عن دقَائق ... من العلمِ أنبَوا سائليهم وسَارعوا
فقلت لها: هم في (**شِبامٍ**) ومنهم ... بـ(**ميفعةٍ**) قومٌ حوتْهم ميافعُ
وفي (**هينن**) منهم أناسٌ ومنهم ... بـ(**ذي أصبحٍ**) حيث الرضَى والصمادعُ
ومنهم بـ(**وادي حضرموتَ**) جماعة ... و(**أرضِ عمان**) سيلُهم ثَمَّ دافعُ
وفي (قدم) و(الغربِ) منهم و(فارسٍ) ... نعم، و(خوارزمٍ) كرامٌ أراوعُ
فقالت: وبيتِ الله يا صاحِ قد سلا ... فؤادي لقولٍ منك والأذنُ سامعُ
ولكن عرفني على أيِّ مذهب ... همُ؟ إذ همُ حصنٌ من الجورِ مانعُ

---

(١) صالح الحامد، **تاريخ حضرموت**: ص٢٦٧- ٢٧١، د. سرجيس فرانتسوزوف، **تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي**: ص١٩٢-١٩٥، بدر اليحمدي، **مقدمة ديوان السيف النقاد**، ص١٩ - ٣٣.

فقلت: على دينِ (ابن وهب)، و(جابر) لقــد وُجِــدوا والكــلُّ مــنهم مــسارعُ
إلى طاعــةِ الــرحمن يهــدي إلى الهــدَى ويــأبى الــردَى والــضيمَ، لله طــائعُ
إلى ديننـــا إذ دينُنـــا طـــابَ أصـــلُه وطابـــت فـــروعٌ عنـــده وطبـــائعُ
وهــذا مقــالٌ مــوجَزُ اللفــظِ محكَــمٌ بليــغٌ بــه في الــدين تحيــا الــشرائعُ[١]

إمامته وقيامه بالدعوة في حضرموت:

ديوانه الشعري ينضح بذكر الجهاد والخروج على الفسقة والظلمة، ويفيض بالمعاني الإيمانية، وفيه من التبجح والتحدث عن إمكانياته الدفاعية والهجومية الشيء الكثير، وقد امتدح اثنين من أئمة عمان الإباضية: الخليل بن شاذان الخروصي (ت حوالي **٤٧٤هـ**)[٢]، وراشد بن سعيد اليحمدي[٣]، واستنجد بهما في عدد من القصائد.

وفـاتـه:

لم يقف الباحثون على تحديد تاريخ وفاته، وإن كان الزركلي قد حددها في **٤٧٥هـ** إلا أن المرجح أن وفاته كانت بين عامي **٤٧٥هـ**، و **٥٠٠هـ**.

❊ آثاره العلمية:

١ـ **ديوان شعره** المسمى «**السيف النقاد**»، الذي هو أشبه ما يكون بسجل حافل

---

(١) أبو إسحاق الحضرمي، **ديوان السيف النقاد**: ص**٢٨٢ – ٢٨٣**، ونقل بعضها العلامة عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، **إدام القوت**: ص**٥٢٦** .

(٢) الخليل بن شاذان، من أئمة الإباضية في عمان (ت حوالي سنة **٤٧٤هـ**). **ينظر**: باوزير، **صفحات من التاريخ**: ص**٧٠**. وبدر اليحمدي، مقدمة **ديوان الحضرمي**: ص**٢٩- ٣٢**، وردَّ ما ذكره المؤرخ السالمي من احتمال كون وفاته سنة **٤٢٥هـ**، في كتابه **تحفة الأعيان**: ص**٢٩٦**.

(٣) راشد بن سعيد، كان إماماً بعمان (ت **٤٤٥هـ**)، **ينظر**: السالمي، **تحفة الأعيان**: ص**٣٠٦**، وبدر اليحمدي، تحقيق **ديوان السيف النقاد**: ص**١٧٤** (حاشية رقم **٥**).

لتاريخ حياته، وهو مصدر مهم لتاريخ حضرموت في تلك الحقبة التاريخية[١]، وأن القارئ لأشعاره يستطيع أن يخرج بفكرة عن الحالة الثقافية والفكرية في العصر الذي عاش فيه[٢]. كما أن محقق الديوان استفاد منه تصحيح معلومات تاريخية كان مشكوكاً فيها في تاريخ عمان القديم[٣].

*** من الفوائد الواردة في أعطاف هذا الديوان:**

ـ قصيدة فقهية دالية بلغت أبياتها (١٤٧) بيتاً، مطلعها:

نظمتُ لكم **عهـداً** فلابـدَّ مـن عهـدٍ — يكـون إلى قـاضٍ ووالٍ عـلى الجنـدِ
ليحمِـلَ كـلٌّ مـا تحمَّـل مـشفِقاً — ويعلـمَ أن الله لا غـيرَه قـصدِي
فمـن مـنهُما خـانَ الإلـهَ عزلتُـه — ومن لم يخن عَهداً شددتُ به عضدي

وهذه القصيدة أشبه ما تكون بدستور للقضاة وضعه أبو إسحاق، وفيها من الأحكام الفقهية القضائية ما يطول ذكره وإيراده، فضلاً عن شرحه والتعمق فيه.

ـ وله أيضاً في نفس الديوان (ص٢٤٧) قصيدة لغَّزَ فيها مسألةً في الفرائض، وهي في (١٣) بيتاً من (قافية الراء)، مطلعها:

شرحتُ مقالاً في الفرائضِ محكماً — دقيقَ المعـاني مـضمَراً أيَّ إضـمار

ـ وأخرى في الفرائض أيضاً (ص٤٣٧-٤٤٠)، تقع في (٣١) بيتاً من (قافية الميم)، مطلعها:

---

(١) سعيد باوزير، **صفحات من التاريخ**: ص٧٣.

(٢) سعيد باوزير، **الفكر والثقافة**: ص٦٨.

(٣) بدر اليحمدي، **مقدمة ديوان أبي إسحاق**: ص٣٠.

يسائلني قـيسُ الفتَـى ومحمـدُ   لأنــشُر أبياتــاً عجائبهــا جَــمُّ
وعندي دقيقاتٌ إذا رمتُ بثَّهــا   تحيَّر عن تفسيرها الفطنُ الفهمُ

إلى آخرها.

نسخ الديوان:

طبع السيف النقاد طبعته الأولى في القاهرة سنة **١٣٢٤**هـ ـ **١٩٠٦**م بالمطبعة البارونية، وطبع بعدها طبعات أخرى في دمشق وعمان، وكل تلك النشرات أو الطبعات خلت عن الأسلوب التوثيقي الأكاديمي، مما أدخل الشك عند الكثيرين، لاسيما وأن ناشره (الباروني) كان شاعراً! ثم صدرت الطبعة المحققة الموثقة بتحقيق الباحث بدر اليحمدي وقدمت كرسالة علمية إلى قسم اللغة العربية بجامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان سنة **١٤٢٠**هـ، وصدرت عن شركة المعالم للإعلام والنشر، سلطنة عمان، سنة **١٤٢٣**هـ، في (**٤٩٦** صفحة). وقد اعتمد الباحث اليحمدي في تحقيق الديوان على الطبعة الأولى للباروني، وعلى (٨ نسخ) خطية، أقدمها (النسخة م) كتبت سنة **١١٤٧**هـ وهي نسخة ليبية من جبل نفوسة الشهير، تليها نسخة (أ) كتبت سنة **١١٩٥**هـ وهي عمانية، فنسخة ثالثة (ط) كتبت سنة **١٢٨٧**هـ، وباقي النسخ متأخرة والبعض بدون تاريخ. ووجود هذه النسخ الخطية المتقدمة على عصر (الباروني، ت **١٣٣٢**هـ) تنفي أن يكون له دخل في صياغة أبيات الديوان.

٢ـ مختصَرُ الخصَالِ:

كتاب فقهي فروعي على مذهب الإباضية، يعد من أهم الآثار العلمية لهذا المذهب، ولتاريخ تواجده في حضرموت، وهو مصدر مهم للمذهب الإباضي، ومنزلته عندهم كبيرة.

أول هذا الكتاب بعد البسملة: (الحمد لله الممن علينا بالتحميد قبل معرفتنا به، وصلى الله على رسوله محمد النبي وآله وسلم تسليماً. **قال أبو إسحاق إبراهيم بن قيس:**

أما بعد؛ فلنبين لمن قصرت همته من تأليف الشريعة في الدين، وعجز فهمه عن إيضاح منهج المؤمنين، وكسلت جوارحه عن تقييد أثر المسلمين، وقوي في طلب الفضل عزمه فأقام الاعوجاج، وبسط في أعمال البر جوارحه فأوقد السراج، وحقيق على مَنْ مَنَّ الله عليه بالنعم من إتيان الحكمة، أن يؤدي من حق الله ما افترض عليه بالرهوا، وليس الجد يدرك بالمنى، ولا طلب الآخرة بالهوينا، ولن يبرأ من العيوب إلا الله، ومنه نسأل التوفيق والإرشاد لذاته، إنه على ما يشاء قدير). انتهى.

وقال في خاتمته: (**قال أبو إسحاق**: ولقد صنفت في هذا الكتاب**!** ومن همتي أني إن مد الله في العمر أن أشرح على مسائله دلائلَ من الكتاب والسنة وإجماع الصالحين من الأمة، وأرجو من الله العافية والمعونة، فله على جميع الأحوال الحمد والمنة). انتهى.

نسخه وطبعاته:

لا أعلم عن نُسَخه سوى نسخة قديمة عتيقة، كتبت بخط مغربي، محفوظة بدار الكتب المصرية[1]، برقم (**٢١٥٩١**)، في (٨٧) ورقة = **١٧٥** صفحة، ولكن الكتاب في الحقيقة يبتدئ من (ص **٣**)، وينتهي في (ص **١٦٩**) (ورقة **٨٤**/ وجه أ)، وتاريخ النسخ: الخميس **٢٧** رمضان سنة **١٠٤٧**هـ. وقد ضرب على اسم الناسخ، وفي إلحاق الصفحة الأخيرة جاءت عبارة: (كتبته بالديار المصرية، اللهم اغفر لكاتبه ولجميع من دعا له بالمغفرة من المسلمين، آمين). انتهى.

وأعتقد أنه بالاطلاع على فهارس المخطوطات في عمان والشمال الإفريقي يمكن

---

(١) استدللت على هذه النسخة بواسطة كتاب الدكتور مهدي طالب هاشم، **الحركة الإباضية في المشرق العربي**، فقد ذكر الكتاب ورقم الحفظ في (ص **٣٧**، هامش **١**)، وقد وجدت مصورة عنها لدى أخي الشيخ عمر باذيب حفظه الله، ثم وصلتني السنخة المطبوعة مع المجلد الأول من شرح النظام للسالمي مهداة من سعادة السفير الأستاذ عبدالله حمد الباد.

العثور على نسخ أخرى، فمن غير المعقول أن لا توجد له سوى نسخة وحيدة رغم منزلته الكبيرة عند الإباضية!

ومن طبعاته: طبعة وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، سنة **١٤٠٣**هـ، (طبعت بدار نوبار للطباعة) ولم يذكر فيها معلومات عن هذه الطبعة، وهل هي الأولى أم سبقتها طبعات أخرى؟ تقع هذه النسخة في (**٢٢٥** صفحة)، تلتها (**١٥** صفحة) للفهرس العام للمواضيع. وقد خلت هذه الطبعة عن أي تعليق، أو وسيلة من وسائل ضبط النص!

❊ أعمال علمية قامت على مختصر الخصال:

١ـ منظومة العلامة أبي حفص عمر بن سعيد بن راشد البهلوي[1] (عاش في مطلع القرن التاسع)، له منظومة أرَّخَها خاتمتها في سنة **٨٠٥**هـ، ومطلعها:

وبعد حَـمدي للمليـكِ القـاهرِ ... ربٍّ قـديمٍ عـالِمِ السَّرائرِ
أذكـرُ مـا قـد قَـال **إبـراهيمُ** ... **إمـامُ عـدلٍ سـيدٌ حكـيمُ**
ذاك **الإمـامُ الحـضرميُّ العـادلُ** ... يروي الذي جاءتْ به الأفاضـلُ

وفي آخرها:

تـمَّ الطهـاراتُ مـن التـصنيفِ ... عـن الإمـام العـادلِ العفيـفِ
سـليلُ **قـيس** وهـو **إبـراهيمُ** ... مـن **حـضرموتَ** عـالمٌ حكـيمُ
صـنفَ هـذا العلـم بـالتمام ... كلَّ الذي في الـدِّينِ مـن أحكـامِ

٢ـ تعليقات على كتاب مختصر الخصال: للشيخ حبيب بن سالم البوسعيدي، أحد

(١) بدر اليحمدي، **مقدمة السيف الوقاد**: ص٢٦.

علماء نزوى، من علماء القرن الثالث عشر الهجري[١]، ذكره الباحث بدر اليحمدي في مقدمة ديوان صاحب الترجمة: ص**٢٧**.

٣ـ مدارج الكمال نظم مختصر الخصال؛ للعلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمي (ت **١٣٣٢**هـ)، أحد كبار علماء الإباضية في مطلع القرن المنصرم، وهي منظومة كبيرة، أولها (ص**٥**):

وبعد؛ فالفقه به يدري الفتى ... ما يذرن من فعله وما أتى
وهذه **مدارج الكمال** ... ضمنتها **مختصر الخصال**
وزدت فيها درراً عديدة ... واضحة أعلامها مفيدة
لكنني لم أذكر الدليلا ... فيها لأني لا أرى التطويلا
وطالما خالفته مرتقبا ... وربما تركت ما النظم أبى
وربما عدلت عن تصحيحه ... وجئت بالأعدل من ترجيحه
وقد حذفت منه ما تكررا ... محرراً خصاله مختصرا
وقد تركتُ منه أبواباً ذكَر ... فيها أصولَ الدين تفصيلاً بهَر
مكتفياً بما جرى من نظمها ... على لساني شاكراً لختمها

وقال في خاتمتها (ص**١٦٩**)، مشيداً بجهد مؤلف المختصر في ضبط المذهب وتحرير مسائله وفوائده:

هذا كمال هذه المدارج ... فهيئ الآمال للمعارج

---

(١) وعن تحديد زمنه: ذكر أنه متقدم على العلامة السالمي (ت **١٣٣٢**هـ) بنحو قرن من الزمان أو أكثر، نقلاً عن: الشيخ أحمد بن محمد الخليلي مفتي عمان، **محاضرة بعنوان: نزوى التاريخ والتراث**، مجلة رسالة المسجد (العدد ٦٧، ص**٥١**). عن: بدر اليحمدي، **مقدمة السيف**: ص**٢٧**.

فإنهـا قـد وشـحت بـالحق ... ورشحت أخبارها بالـصدق
وسـلكت منـاهج التحقيـق ... ونـصبت معـالم التـدقيق
واكتـسبت مما إليـه انتـسبت ... فضلاً ولولا أصلها ما اكتسبت
ولبـست منـه بـرود الحـسنِ ... فأقبلـت تهـدي الهـدى وتغنـي
وأنـشأت بـين الـورى تـسليما ... والفـضلُ **للإمـام إبـراهيما**
فإنـه قـد مهَّـد القواعـدا ... وحـرَّر الفـصول والفوائـدا
وقيـد الـشارد بالـضوابط ... وأتقـن الترصـيع بـالروابط
كـم مجمـل فـصله وقـررا ... ومـشكل وضَّـحَهُ وحـررا
فـأظهر العلـوم باللـسان ... ونـصر الإسـلام بالـسنان
وهـا أنـا مغـترف مـن يمِّـه ... ومـستمد قبـساً مـن علمِـه
وإن أكن خالفتـه في بعـض مـا ... مـرَّ فـلا لخلـل قـد رسـما
لكنـه يلـزم كـلاًّ مـا ظهـر ... لـه صـواباً مـن مـسائل النظـر
عليـه مـن إلهنـا رضـوانه ... ما أتحف الـساري هـدى بيانـه

إلى آخرها.

طبعتها: طبعت هذه المنظومة عدة طبعات، وبين يدي منها: طبعة مكتبة الضامري، سلطنة عمان، السيب، الطبعة الثانية، **١٤٢٣**هـ، تقع في (١٧٠ صفحة) من القطع الصغير، تليها قائمة المحتويات في (١١ صفحة). وهذه الطبعة أيضاً خالية عن مظاهر التحقيق.

٤ـ معارج الآمال بشرح مدارج الكمال؛ للعلامة نور الدين عبد الله بن حميد السالمي، (الناظم نفسه). قام بشرح نظمه في (٨ مجلدات) آخرها في الصوم والاعتكاف، قال محققه (١/ ٦): «وكان رحمه الله ينوي أن ينوف على عشرين جزءاً، فقطعت عن إتمامه العلائق»، أوله بعد البسملة: «نحمدك اللهم يا من نصب لأوليائه مدارج الكمال لإيضاح القواعد

... **أما بعد؛** فإن الفقه أشهر من أن يشار إليه، وأبهر من أن يثنى عليه ... وإن ممن أحرز قصبات السبق في ميدانه، وفاق بخصاله على أقرانه، حليف الحُكْم والحِكَم، والسيف والقلم، الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان، قَبِلَ الله سعيه، وأثابه على إحيائه أمره ونهيه. وقد مَنَّ عليَّ المنانُ بنظم خصاله على منوال مخالف لمنواله، مع تركي منه ما تكرر، وتقديمي ما تأخر، وقد حذفت منه كتب الاعتقاد اكتفاء بـ«**أنوار العقول**» و«**غاية المراد**»، وقد زدتُ فيه أكثر مما حذفت، وأخلفت أكثر مما خلفت، وسميته: **مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال**.

ثم رأيت إتمامه منوطاً بشرح يوضح مرامه، ويزيح إبهامه، وينشر أعلامه، أقرن فيه المسألة بدليلها، وإن تكن مقيسة سعيت في تأصيلها وتعليلها، وإن تكن مشكلة أو مجملة اجتهدت في تحريرها، وأخذت في تفصيلها على حسب الإمكان، لقصد البيان، فإن وجدت لغيري في ذلك ما يشفي اكتفيت به، إذ السعيد من بغيره يكتفي، وسميت هذا الشرح: **معارج الآمال على مدارج الكمال** ..» إلخ.

طبعته: طبع هذا الكتاب النفيس (بمطابع النهضة) صادراً عن وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، الطبعة الأولى، **١٤٠٣**هـ، بتحقيق محمد محمود إسماعيل، بين يدي **المجلد الأول** منه، يقع في (٣١٨ صفحة)، استغرقت ترجمة المؤلف (**٩** صفحات) من أوله، واستغرق الفهرس العام للمواضيع (٨ صفحات) من آخره، وخلا الكتاب عن أي تعليقات، أو حتى تخريج حديث أو آية كريمة، ولهذا فإن من العبث أن يكتب على غلافه أنه بتحقيق فلان، كما أن المحقق الموضوع اسمه لم يشر حتى إلى طريقة عمله في الكتاب، ولم تذكر في المقدمة الأصول التي اعتمد عليها في إخراج الكتاب. وهذه أمور بدهية في فن إخراج الكتب وطباعتها، لا تغيب عن ذهن أي متصد لنشر التراث، ولكن؛ لعل لهم عذراً ونحن نلوم.

١٤ـ أبوعبد الله محمد بن إبراهيم بن قيس الهمداني الحضرمي[(١)]:

ورد ذكره في ديوان أبيه في عدد من المواضع، منها الأبيات التي سقتها قريباً في ذكري فوائد من ديوان أبيه، وهي مسألة منظومة في علم الفرائض ألقاها إلى ابنه ليدرّبه على حلها، وقيل بأنه تولى القضاء، وهو ما تؤكده ديباجة كتاب ابن عمه الآتي ذكره عقبه.
مات في حياة أبيه، فرثاه بقصيدة دامعة (قصيدة رقم **١٧** في الديوان، ص**٢١٢**)، مطلعها:

قالوا: دمعتَ! فقلتُ: الدمعُ من رمَدِ ... والعينُ ما دمعتْ إلا على الكمَدِ
كأنَّ في كبِدي رقطاءُ تلسَعُها ... كأنما زَفراتُ النارِ في كبِدي

١٥ـ الفقيه إبراهيم بن عبد الله الحضرمي[(٢)]:

هو إبراهيم بن عبد الله بن قيس بن سليمان الهمْدَاني الحضرمي، ابن أخي الإمام إبراهيم بن قيس المتقدم، وكان فقيهاً قاضياً، وصنف كتاباً في الفقه سماه: «**كتاب الدلائل والحجج**»، عرضَه على ابنِ عمِّه القاضي محمد بن إبراهيم، فلعله ألفه بعد وفاة أبيه الإمام أبي إسحاق، والله أعلم. قال في أوله: «وقد وجدتُ في أكثر الأخبار ما عرفت من الحجج، حيث أقول بهذا يحتج من يحتج، وقد عرضته من قبل أن أنسخه على القاضي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن قيس بن سليمان رحمه الله». وهذا الكتاب عُثِرَ على نسخة خطية قديمة منه في وادي ميزاب بالجزائر، ويقوم بعض الباحثين بتحقيقه.

---

(١) عبد الرحمن بن عقيل النهدي، **صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت**، (دار حضرموت للدراسات والنشر، الجمهورية اليمنية، الطبعة الأولى، **١٤٢٦**هـ): ص**٢٥٥**.

(٢) عبد الرحمن جعفر بن عقيل، **صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت**: ص**٢٥٥**، واسم الباحث هو: أحمد بن حمو كروم، ذكره في حاشية الصفحة نفسها.

إباضية حضرموت في القرن السادس الهجري

١٦ـ أحمد الحضرمي (كان حياً قبل سنة ٥٧٠هـ):

شخصية إباضية من حضرموت، لقيه بمكة المكرمة العلامة الكبير أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت ٥٧٠هـ)، وذكره في كتابه «**الدليل لأهل العقول**» عند كلامه حول قضية (مسألة) خلق القرآن، بعد أن سأله، فرد عليه قائلاً: «إن أهلَ عُمان يقولون إنه غير مخلوق، فيما يقول أهل شرق إباض: إنه مخلوق، أما بالنسبة لنا ـ أهل حضرموت ـ فإننا بين بين، لا مع هؤلاء ولا مع الآخرين»[(١)]. انتهى.

زوال الإباضية من شبام حضرموت؛ ٥٩١هـ:

ومن بين مؤرخي حضرموت انفرد العلامة المؤرخ أحمد بن عبد الله شنبل باعلوي الشحري (ت ٩٢٠هـ) بذكر حادثة مهمة عن إباضية حضرموت، بقوله: «**وفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة (٥٩١ هـ): أزيلَتْ الإباضية من مسجد شبام المعروف بمسجد الخوقة**»[(٢)]. انتهى.

---

(١) ظفرت بهذا النص لدى الباحث النامي: ص١٨٣، ولمعرفة بقية الآراء حول هذه القضية يراجع الكتاب المذكور، وكتاب الوارجلاني «الدليل» محفوظ بمكتبة المتحف البريطاني برقم (٦٥٦٤) كما عند النامي: ص٣٠٧، ولترجمة الوارجلاني **ينظر**: الشماخي، **كتاب السير**: ٢/ ١٠٥، وعدة مؤلفين، **معجم أعلام الإباضية**: ٢/ ٤٨١. كما أحال النامي (ص١٨٣) إلى مصدر آخر ورد فيه هذا النص أيضاً، وهو: كتاب «شفاء الحائم من شرح بعض الدعائم»، مؤلفه أبو الفضل أبوالقاسم بن إبراهيم البرادي، الذي كان حياً سنة ٨١٠هـ، **ينظر**: د. النامي، **دراسات عن الإباضية**: ص٣٠٠.

(٢) أحمد بن عبد الله شنبل، **تاريخ حضرموت**، تحقيق عبد الله محمد الحبشي، (طبعة خاصة على نفقة الوجيه محفوظ شماخ (ت ١٤٢٩هـ) رحمه الله، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ): ص٥٦.

هذا هو النص الوحيد الذي وصلنا عن إباضية القرن السادس ولم يعزَّز بثان، وحوله نسج بعض قليلي الاطلاع من الكتاب قصة زوال الإباضية من حضرموت، وأنهم لم تقم لهم قائمة بعد هذا التاريخ، ولكن الواقع كان خلاف هذا.

والذي توصلت إليه بعد بحث واستقراء: أن هذا الخبر يتحدث عن نتيجة معركة جرت بين إباضية شبام ـ ومنهم حكامها آل النعمان ـ وبين جنود الدولة الراشدية القحطانية السُّنية القادمين من تريم، فانتهى بالإباضية الأمر إلى أن التجؤوا إلى مسجد (الخوقة) الشهير بمدينة (شبام حضرموت)، وكان من مساجدهم، وبقوا فيه مدة حتى أزيلوا منه على يد السلطان عبد الله بن راشد القحطاني (ت ٦١٦هـ)[١]، المعروف بعلمه وعدله بين الناس، وإذا كانوا قد أزيلوا من شبام فإنهم ساروا إلى وادي دوعن وتحصنوا فيه كما سيأتي.

إباضية حضرموت في القرن التاسع الهجري:

بعد ذلك تصمت المصادر التاريخية الحضرمية (المحلية) عن فترة قرنين من الزمان، لم يردنا فيها شيء عن الإباضية في حضرموت البتة، إلى أن وجدنا إضاءة عنهم لدى المؤرخ الفيلسوف الإسلامي الكبير عبد الرحمن ابن خلدون ـ الحضرمي الأصل ـ (ت ٨٠٨ هـ)، في تاريخه المعروف، وهو قوله بعد أن ذكر النِّحلة الإباضية: «ويقال: إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد حضرموت، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»[٢]. انتهى.

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٧١-١٧٢ .

(٢) ابن خلدون، **تاريخ العبر**: ٣/ ١٧٠.

بين العمودي وإباضية دوعن؛ سنة ٨٤٠هـ:

في منتصف هذا القرن ظهرت بوادر حركة من إباضية وادي دوعن، فتصدى لهم الإمام العلامة الوالي العادل المستقيم على السنة الشيخ عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي (ت ٨٤٠هـ) المعروف بالذَّماري، أرخ وفاته السيد شنبل في تاريخه، قال: «وفيها ـ أي: سنة ٨٤٠هـ ـ: توفي الفقيه عبد الله بن محمد بن عثمان بن سعيد باعيسى بذَمار، الذي هو على السنة»[1]. انتهى. فلاحظ قوله (الذي هو على السنة).

ثم وقفت على نص آخر يزيد النص السابق إيضاحاً وتفصيلاً عند المؤرخ الطيب بامخرمة (ت ٩٤٧هـ)، في تاريخه الكبير «قلادة النحر»، قال: «ولما استولى الفقيه الصالح الورع الزاهد العالم العامل عفيف الدين عبد الله بن محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان العمودي النوحي على وادي دوعان، سكن رأس الخريبة، وأقام لهم الشريعة، وأحيا السنة، وأطفأ البدعة، لكن لم يوافق ذلك هواهم، فحاربوه وأخرجوه، وانتقل إلى ذَمار، وتوفي بها في سنة أربعين وثمانمئة، كذا وجد بخط بعض الفضلاء»[2]. انتهى.

ونقل هذا النص العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) في تاريخه[3] ولم يعقب أو يعلق عليه، سوى أنه أضاف أن استيلاء العمودي على دوعن والخريبة كان سنة ٨٣٦هـ. غير أنه يسلط الأضواء على أعيان الفئة المدافعة عن المذهب الإباضي في ذلك العهد، بقوله: «وكان المدافع عن الإباضية هو **أمير حَيريج ابن فارس**، ويقال: أبو دجانة الكندي، كما كان ابن الدغار الكندي في الرشيد»، ويضيف قائلاً: «وابن فارس الكندي هو الذي قاوم الشيخ عبد الله بن محمد العَمُودي الذماري لما هجم على الخوارج واستولى على دوعن كله، وأخذه من يد الخوارج، وقد ابتدأت الفرقة في ذلك الوقت بين حمير

---

(١) أحمد شنبل، **التاريخ**: ص١٧٥، باحنان، **جواهر تاريخ الأحقاف**: ٢/ ١٦١.

(٢) الطيب بامخرمة، **قلادة النحر**: ص٢٤٨.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص١٤٠، عبد الرحمن السقاف، **إدام القوت**: ص٣٢٥.

وكندة، فمالت حمير إلى العموديِّ السُّني، وبقي الكنديون على عقيدتهم، تمدُّهم في الغي مهرة، وكانوا إباضيةَ ذلك العصر، والمراد بكندة هنا: كندة الساحل»[١]. انتهى. وهو تحقيق تاريخي فريد وبديع.

حركة أخرى من إباضية حضرموت في وادي دوعن، سنة ٨٩٠هـ:

استظهر العلامة ابن عبيد الله السقاف[٢] (ت **١٣٧٥هـ**) اعتماداً على معلومة وردت عند المؤرخ شنبل في حوادث سنة **٨٩٠**هـ[٣]، أن هجوماً حصل على مدينة الخريبة في وادي دوعن: أن قوماً من الإباضية كانوا يحكمون بلدة (الرشيد) في وادي دوعن في ذلك الزمان، وهو ما ذهب إليه العلامة علوي بن طاهر الحداد[٤] (ت **١٣٨٢**هـ) أيضاً، وأضاف: أنهم كانوا من قبيلة تجيب، وكانت لهم وقائع وقتل للناس.

ما ورد عند السخاوي (ت ٩٠٢هـ) عن إباضية حضرموت:

ومن النصوص القوية التي تشير إلى بقاء الفرقة الإباضية بحضرموت إلى نهاية القرن التاسع: ما ورد عند الحافظ السخاوي المتوفى أول القرن العاشر (ت **٩٠٢**هـ) بالمدينة المنورة في معرض ذكره وتعديده لمذاهب أهل اليمن وحضرموت، فقد نقل عن المؤرخ الجندي (ت **٧٣٢**هـ؟): «أن أهل اليمن لما ظهر مذهب الشافعي واشتهر عندهم، رجعوا إلى تقليده» وذلك في المائة الثالثة ـ كما سيأتي تفصيله في الباب الثاني ـ ثم ذكر وجود بعض الفئات من الناس المتمذهبين بغير الشافعي، فقال: «ومن العثمانية: وهم بحضرموت»[٥]. انتهى.

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص**١٣**

(٢) عبد الرحمن السقاف، **إدام القوت**: ص**٣٢٥**.

(٣) أحمد شنبل، **التاريخ**: ص**٢٠٣**.

(٤) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص**١٤٠**.

(٥) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التوريخ**، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح العلي، (دار الكتب العلمية، بيروت، مصورة، د.ت): ص**٢٩٦**.

فوصفه لتلك الفئة بأنها (عثمانية)، يقصد بذلك ما اصطلح عليه منذ القديم وأطلق على مَنِ انحرفَ مِنَ الخوارج عن علي كرم الله وجهه ووالى عثمان رضي الله عنه[١]، وبعيد أن يكون السخاوي أطلق هذا الوصف اعتماداً على النقل عمن تقدمه، لاسيما وأنه لم يعز القول لغيره، ولأنه عرف كثيراً من أهل حضرموت، فقد ترجم في تاريخه لعدد غير قليل منهم، ولقيه جماعة من فقهاء شبام وتريم في المدينة المنورة، قرؤوا عليه واستجازوه، وبعضهم نسخ بعض مؤلفاته وحملها إلى حضرموت. إذا علمنا هذا، فإننا نقطع أن وصف السخاوي لم يكن اعتباطاً، وأنه نقل عن ثقات من علماء حضرموت ممن قدم للحج والزيارة.

وبعد؛

فهذا آخر ما وصلنا من أخبار الإباضية بحضرموت، وصمتت المصادر والمراجع عن ذكرهم بعد ذلك التاريخ، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

مراكز الإباضية في حضرموت:

١ـ شبام حضرموت: أشهر معاقل الإباضية في حضرموت، وهي من قدامى البلدان، عريقة أصيلة، شامخة أبية، تعد من أقدم وأهم مناطق المحميات الأثرية في العالم اليوم، وتركيبتها السكانية متعددة الأعراق منذ عرفتها الأقوام، مما يدل على أهميتها الاستراتيجية في العصور القديمة والوسيطة على حد سواء، ذكر الهمداني في «صفة جزيرة العرب»: أن أكبر قبيلة سكنتها من القبائل القحطانية قبيلة حمير، ومنها بنو فهد حكام شبام في القديم، وذكر أن حمير في زمنه (القرن الرابع الهجري) إباضيةٌ عن بكرة أبيهم،

---

(١) وقد استخدم هذا المصطلح الشيخ ابن تيمية في كتابه **منهاج السنة النبوية**، تحقيق محمد رشاد سالم، (مؤسسة قرطبة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ): ٦/ ١٠١، ولشيخ العربية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) كتاب العثمانية، شهير مطبوع، ونقضه عدد من كبار أئمة العربية.

وبها جماعة من الصدف، وجماعة من تجيب، وكندة عشيرة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي.

وأقامت بها عناصرُ من قبيلة همدان من بني نشق، عشيرة أبي إسحاق الهمداني، إمام الإباضية في القرن الخامس الهجري، الذي صرح بذكرها في شعره كثيراً، فمنه قوله:

إلا لأحمـــي دينهـــا وأحتمـــي	كـما حمـى **قـيسٌ** أبي في القـدم
للمصطفى (**حصنِ شبام**) الأقومِ	أنـــا الغـــلام المـــتحلي بالـــدم
المعـــتلي بالـــدين لا بـــالأمَم	أديـنُ ديـنَ المـصطفى المكـرم(١)

٢ـ الهجرين: مدينة تاريخية حصينة، من معاقلهم، كانت أول موضع يسيطر عليه جيش طالب الحق بعد مبايعته بالإمامة، واعتقل الوالي إبراهيم بن جبلة الكندي من دار الإمارة بها، وحسب إحصائيات الهمداني السكانية: أن قبيلة الصدف الساكنة ببلدة (خودون = خيدون) بالهجرين معظمها إباضية، ولما نزل فيهم المهاجر أحمد بن عيسى ناصره من الصدف من كان على السنة منهم.

٣ـ هينن: من معاقلهم أيضاً، وكان يسكنها الصدف الذي أكثريتهم على الإباضية، وذكر الهمداني من رؤوس الصدف بها (ص١٦٧): الحصين بن محمد التجيبي، وكان له حصن بأعلى هينن.

٤ـ عندل: قرية قديمة ضاربة في القدم، كانت من مراتع الملك الضليل امرئ القيس الشاعر الشهير، وكان يسكنها الصدف، كما ذكر الهمداني في الصفة (ص١٦٧).

٥ـ جَزعُ الصَّدِف: موضع قريب من بلدة (بضة) بدوعن، غير بعيد من الخريبة، حسبما استظهره العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) من قول الهمداني في

(١) إبراهيم بن قيس، **الديوان**: ص٤٢٧.

«الصفة»: «موضع الإمام الذي يأمر الإباضية وينهى في **مدينة دوعن**»[١]، الذي سيأتي ذكره وأن المراد به: (الخريبة)، فيقول العلامة الحداد: إن مرادَ الهمداني **بمدينة دوعن** موضعٌ آخرُ في وادي دوعن ـ غير بعيد من الخريبة ـ هو أقرب إلى بلدة بضة، يقال له جَزْعُ الصَّدِف[٢]. وهذا (الجزع) خراب اليوم، وإنما ربط العلامة الحداد بين عبارة الهمداني السابقة، وما ورد عنده من أن أكثر الإباضية كانت في الصدف، فناسب أن يكون هذا الموضع الخراب يوماً ما معقلاً من معاقل الإباضية، خرب بسبب الحروب والثورات!

٦ـ هدون: قال العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢**هـ): «وسمعت سيدي وشيخي يقول: إن **البَرشة**، الموضع المعروف **أسفل من بلد هدون**، سمي بذلك لأن جيش معن برش الخوارج هناك، ومعنى برش بلغة أهل حضرموت: استأصل»[٣].

٧ـ مدينة الخريبة: الواقعة في وادي دوعن الأيمن، وكانت متحصَّن الإباضية في عهودهم الأخيرة بحضرموت، وبها قاتلهم الشيخ العمودي الذماري الذي نفي من بلده ومات غريباً في (ذمار) بسبب أذية الإباضية له. ومن الطريف أن نعلم: أن أئمة الإباضية القدامى كالربيع بن حبيب صاحب المسند الإباضي الشهير (ت **١٤٥**هـ؟)، كان نزوله في البصرة بموضع يسمى (الخريبة)، فهل لنا أن نربط بين اسمي الموضعين: (خريبة حضرموت) و(خريبة البصرة)؟ كما أن وقعة (الجمل) الشهيرة بين الصحابة كانت بخريبة البصرة أيضا!.

مدى تقبل الحضارمة للمذهب الإباضي:

إن انتحال العقائد والتدين بها لا يكون إلا عن طواعية واقتناع أو عن إكراه وقسر،

---

(١) أحمد بن الحسن الهمداني، **صفة جزيرة العرب**: ص١٧٠.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص**١٣٩**.

(٣) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص١٤٠ .

فبأي أسلوب وبأي وسيلة كان تقبل الحضارمة للفكر الإباضي، إن صح أنهم تقبلوه أجمعين، هناك رأيان في هذه الحيثية:

الرأي الأول: يذهب إليه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢**هـ) وشيخنا العلامة محمد الشاطري (ت **١٤٢٢**هـ): وهو أن **الشعب الحضرمي لم يكن كله إباضياً**، ولكن الدولة الغالبة في عهودها الأولى كانت إباضية، علاوة إلى أنها لن تستخدم أسلوب الإكراه وقسر الناس على اعتناق نحلتهم، مستدلين بما ورد في سيرة طالب الحق من نشره العدل بين الناس، وتقسيمه المال العام بينهم بالتساوي كما فعل إبان حكمه لصنعاء، «فإنها لا تدل على أنه ساق جميع أهل حضرموت سوقاً إلى الالتفاف حوله، **ولكنه استجلبهم بطول المدة**. ثم إن قلة عدد جيشه يدل على ذلك، فإنما ورد صنعاء بألفي نفر، وقيل: بألف، وأرسل أبا حمزة الشاري إلى مكة والمدينة في ألف رجل، مع أنه لو استتبع أهل حضرموت بالقوة لاستخرج منهم ألوفاً، فكيف بصنعاء اليمن وما حولها! **وبالجملة**؛ فالنقول لا تدل على أن جميع أهل حضرموت أكرهوا على انتحال عقيدة الإباضية، ولا أنهم أجمعوا على ذلك اختياراً»[1]. ويضيف العلامة الشاطري[2]: أن هناك مواضعَ في حضرموت لم تصلها سلطات الإباضية، منها تريم، التي لم يرد ذكرها في تاريخ إباضية حضرموت على الإطلاق.

الرأي الثاني: أن **الحضارمة قد تمسكوا بعقيدة الإباضية**، وأنهم استماتوا في الدفاع عنها، وإليه يذهب المؤرخ سعيد باوزير (ت **١٣٩٩**هـ)، وتابعه المستشرق الروسي سرجيس، مستدلاً بحركة طالب الحق والتأييد الكبير الذي لقيه منهم، رغم المحن التي قاسوها، والحروب التي خاضوها، وأن «كل ذلك يدل على أن هذه العقيدة كانت لها

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص**٩-١٢**، ملتقطا، والشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص**١٥١**.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، **المصدر السابق**: ص**١٥١**.

جذور في حضرموت وأنصار، سارعوا إلى تأييد حركة طالب الحق عقب إعلانها، لأن الأفكار والعقائد لا تنتشر وتتأصل بتلك السرعة ما لم تجد جواً مهيأً لها، وتربة خصبة تساعد على نموها وانتشارها»(١).

واقع حضرموت في العهد الإباضي:

إنه مع أسف الكثير من الباحثين على ضياع تراث الإباضية وعدم وجود مصادر تاريخية كافية عنهم، فإن العلامة الكبير والعلم الشهير علوي بن طاهر الحداد (ت ١٣٨٢هـ) قد عبر في كلمات جامعة عن واقع منطقة حضرموت في عهود سيطرة الإباضية عليها، وهو رأي وجيه يستحق أن يذكر هنا تتميماً لبحثنا الطويل والشائك عن هذه الحقبة الزمنية.

فهو يرى: أن تلك العصور كانت عصور جفاف وخواء علمي وفكري وحضاري، وأن منطقةَ حضرموت على مدى أكثر من قرنين من القرون الثلاثة ـ التي هي «خير القرون» كما في الحديث الصحيح، وهي الفترة التي أزهرت وأثمرت فيها حضارة الإسلام، وامتلأت فيها أمصار المسلمين علماء وأدباء ومؤلفين ـ قد اعتراها العقم وقلة الخير بسبب ظهور الخوارج بها. وكان هذا الأمر ـ التواجد الإباضي ـ يحول دون امتزاج حضرموت بسائر الأقطار الإسلامية وأمصارها، لاشتعال نيران الفتن التي كان يؤججها الخوارج، كلما طفئ منها جانب أشعلوا منها جانباً. وبينما كانت الأمصار الإسلامية تزخر بالغنى والثروة والتجارة، وأموال المغانم والفتوحات الإسلامية، يرن صداها في الخافقين، كان الحضارم محرومين من ذلك كله.

كما تعرض إباضية الحضارمة آنذاك لكراهية العالم الإسلامي لهم بسبب ما فعلوه في الحرمين الشريفين، إذ قتّلوا أبناء المهاجرين وأبناء الأنصار الذين دعا لهم رسول الله

(١) سعيد باوزير، **الفكر والثقافة**: ص٦٣، فرانتسوزوف، **تاريخ حضرموت الاجتماعي**: ص١٥٨.

ﷺ، وأخافوا أهل المدينة، فلا جرم أن أذابهم الله كإذابة الملح، فلم يعد من أقوامهم تلكَ إلا القليل، ثم كانت هذه الأعمال سبباً للهجوم على حضرموت وأهلها مراراً من جيوش بني أمية وبني العباس، فوقع فيهم من القتل والمحَن ما يطول وصفه. ومن العجب أن فتنة الخوارج هذه نبعت من تحت قدم رجل من فخيذة (بني شيطان) من كندة، كما أن ردة كندة أولَ الإسلام ومن تبعهم كانت بسبب (بكرة شَيطان)، فكلٌّ له من اسمه نصيب[١]!

وجهة نظر؛ حول ما يقالُ عن أسباب ضياع المصادر القديمة:

لقد تعب الباحثون من قبلُ في تتبع أخبار الإباضية في حضرموت، والسبب الأكبر هو قلة أو عدم وجود المراجع الكافية التي تتحدث عن تاريخهم وحركاتهم، ويمكن القول بأن جملةَ تاريخِهم غامض مطموس[٢]، وهو عصر مجهول التفاصيل، والإحالة عليه إحالة على مجهول[٣]، كما عبَّر العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢هـ**).

ويضيف من بعده المؤرخ سعيد عوض باوزير (ت **١٣٩٦هـ**): «نحن لا نملك أن نصدق أن مئات السنين التي عاشها الإباضيون في حضرموت دون أن يتركوا أثراً علمياً أو أدبياً أو تاريخياً يعبر عن عقيدتهم ومذهبهم، ويسجل عواطفهم وأحاسيسهم ويدون أخبار خلفائهم وأمرائهم وقوادهم وعلمائهم وأدبائهم، ويعطينا صورة واضحة المعالم عن حياتهم السياسية والثقافية والاجتماعية.

لقد ضاعت إذن أو اختفت مصادر هذه الفترة المهمة من تاريخ حضرموت، ولكن: كيف؟ ولماذا؟ لا أحد يدري! ومهما قيل في تعليل ذلك من أسباب تتعلق بالحروب والفتن والثورات التي تعرضت لها البلاد، فإن ذلك لا يقنعنا بأن هذه الحروب وحدها كانت سبباً

---

(١) علوي بن طاهر الحداد، **الشامل**: ص**١٥-١٦**.

(٢) المؤلف السابق، **جنى الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ**: ص**١٢**.

(٣) المؤلف السابق، **المصدر السابق**: ص**٢٩**.

في اختفاء كل أثر للإباضية في حضرموت، إذ من الجائز أن تتعرض بعض هذه المصادر للتلف، أما أن تختفي جميعها من الوجود كلية، فهذا ما لا يمكن أن يقبل أو يستساغ»[١].

أما أستاذنا العلامة الشاطري رحمه الله، فإنه وبرؤية العالم المتثبت الرزين، قد كان أكثر تفاؤلاً من الشيخ باوزير، بل أكثر وضوحاً وإنصافاً، فهو يعلل هذا الاختفاء ـ (أو: الإخفاء!) حسب تعبير الشيخ باوزير ـ بقوله: «ويظهر أن السبب الرئيسي هو عدم اهتمام الحضارمة والإباضية منهم بصورة خاصة بتدوين التاريخ، بل الجمود الإباضي السابق يأبى تدوينه في تلك العهود، وهذا يعني: أنه لو وجد مؤرخون من بينهم إذ ذاك فإن تواريخهم ضاعت ضحية الإهمال والفوضوية الضاربة أطنابها في البلاد، وعدم الاحتفاظ بالذخائر العلمية»[٢]. وهذا الذي ذكره شيخنا تغمده الله برحمته ـ وسماه (جموداً) ـ هو عينُ ما ورد عند كبار مؤرخي الإباضية، فهم يأسفون بشدة لما أن أسلافهم لم يدونوا أخبارهم.

فهذا أقدم مصدر تاريخي متوفر بين أيدي الباحثين من تاريخ الإباضية، وهو «تاريخ أبي زكريا» المعروف بـ«سير الأئمة»، الذي توفي مؤلفه حوالي سنة **٤٧٠**هـ، يقول مؤلفه: «**أما بعد؛** لما رأينا ما انطمس من الآثار، وما اندرس من الأخبار، انبعثت أفكارنا إلى تأليف أخبار من سلف من الأشياخ .. فكتبنا من ذلك ما تيسر لنا كتابته، ورجونا منفعته من بعد ما خشينا على العوام أن يتخذوه وراءهم ظهرياً، ويجعلوه نسياً منسياً»[٣]. إلخ.

ويقول العلامة المؤرخ الشيخ عبد الله السالمي المتوفَّى سنة **١٣٣٢**هـ في مقدمة كتابه الهام «تحفة الأعيان» أحد أهم المصادر عن تاريخ عمان وإباضيتها: «لم يكن التاريخ

(١) سعيد عوض باوزير، **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي**: ص٦٧-٦٨.

(٢) محمد بن أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٢٢.

(٣) أبو زكريا، **سير الأئمة**: ص٣٧.

من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة دولة العدل، وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد منه للناس، أخذاً بالأهم فالأهم، فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة، ولا تاريخاً شاملاً»[١]. الخ.

فمن هذه النصوص وغيرها، نجد أن القومَ أنفسهم يأسفون على ما ضاع من سير أسلافهم وتاريخهم، ولا يعزون ذلك الضياع إلا إلى عدم اهتمام الأسلاف بالتدوين في الدرجة الأولى، يضاف إلى ما سبق: ما اتصفت به منطقة حضرموت قديماً من البداوة الشديدة[٢]، على قلة مَنْ بها من العلماء بسبب الهجرات.

فإذا ما اعتذر أحدُ كبار علماء حضرموت فنسب بعض ضياع التاريخ الحضرمي القديم (عموماً) بدون انحياز فئوي أو طائفي، إلى كون الأخلاف رأوا في سير أسلافهم ما ينكرونه منهم اليوم، فعمدوا إلى إخفائها وإفنائها[٣]. فإني أرى أن هذا الاعتذار أو التعليل عن ضياع مصادر تاريخنا الحضرمي القديم هو اعتذار منطقي جداً، بل ذلك مشاهد في واقع الناس المعاش. فكيف يجوز ـ عقلاً وذوقاً بعد هذا الشرح المستفيض والنقل عن أهم مصادر الإباضية التاريخية القديمة ـ أن يأتي بعض الكُتاب المحْدَثين (المعاصرين) فيلقي باللوم كله على (فئة من الناس)، ويتهمهم بأنهم استخدموا أسلوبَ (فلترة) المصادر التاريخية[٤]، وأن التراث الإباضي قد أبيد أو دُمِّر أو أخفي بعد قدوم السيد المهاجر (ت ٣٤٥هـ)، إن هذا زعمٌ باطل ولا أساسَ له من الصحة إطلاقاً، وشواهد التاريخ الثابتة تجعله كالهباء المنثور.

---

(١) عبد الله السالمي، **تحفة الأعيان**: ١/ ٤.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص٢٩-٣٠.

(٣) المرجع السابق: ص١٣.

(٤) عبد الرحمن بن عقيل، **صفحات من تاريخ إباضية حضرموت وعمان**: ص٢٤٩، وكرامة سليمان بامؤمن، **الفكر والمجتمع في حضرموت**: ص١٥٠ وما بعدها.

لقد ظهرت اليوم بحوث حديثة معاصرة، تريد أن تأخذ بدفة التاريخ وتحرفها عن مسارها الصحيح، وأن تبعثر الحقائق الراسخة، وتقلب الأمور رأساً على عقب، ولكن هيهات لهم ذلك(١). وليأخذ القارئ الكريم للعبرة قصتان، من وقائع قريبة حدثتا في ظروف مشابهة لما نحن بصدد الحديث عنه:

١ـ فقد نقل لنا الثقاتُ عن حادثة اغتيال لمصدر تاريخي مهم في القرن الرابع عشر الهجري، وهو كتاب «**الفرج بعد الشدة في فروع كندة**» للشيخ النسابة المؤرخ عوض بن أحمد الجرو، سبط العلامة الكبير الشيخ محمد بن عمر بحرق (ت **٩٣٠هـ**)، ومسرح الحدث هو مدينة (شبام) بحضرموت**!** هذا الكتاب كانت توجد منه أوراقٌ في مكتبة العلامة أحمد بن حسن العطاس (ت **١٣٣٤هـ**)، اطلع عليها العلامة علوي بن طاهر الحداد (ت **١٣٨٢هـ**).

أما سبب اختفائه فيحكيه لنا السيدُ الحداد المذكور، بقوله: «وقد أخبرني بعضهم: أنه حضر شيخَنا وتلك الرسالة تقرأ عليه في (شبام) على ما هو الأغلب عندي، وعاد صاحبها فأخذها، وبقيت مكتومة، لأن فيها أنساب أناس من المشايخ إلى حمير**!** **قلت**: ولعمري ما ذلك بعيب ولا هجنة، وحمير جرثومة كبرى من جراثيم العرب، كان لهم الملك في الجاهلية والجهاد في الإسلام والمسارعة إليه، فأعظِم بجَهلِ من يعدُّ الانتسابَ إلى حمير عيباً ونقصاً»(٢). انتهى.

٢ـ ونحن نرى اليوم أناسا نُسِب أجدادهم إلى التصوف ـ على سبيل المثال ـ ويرونه

---

(١) منهم سالم فرج مفلح، في كتابه: **حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر للهجرة، بين الإباضية والمعتزلة، مشروع رؤية**، (دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، الطبعة الأولى، **٢٠٠٦**م). الذي حمل فيه حملات شعواء على التاريخ، وقلب الحقائق الثابتة، وقد تصدى لأفكاره عدد من الفضلاء المتخصصين، كالدكتور صادق العي، أستاذ التاريخ في جامعة حضرموت بتريم، وغيره.

(٢) علوي بن طاهر الحداد، **جنى الشماريخ**: ص**٤٥**.

هم سُبَّةً وعاراً، فقاموا بحرق تراث أجدادهم وآبائهم الأقربين، في محاولة لطمسه وإخفاء للحقيقة عن الأجيال القادمة، وقد جرتْ حادثةٌ من حوادثِ (الإحراق) هذه أمامي، وشاهدتها بعيني، وكان ذلك في بلدنا (شبام) ذاتها، وكأن التاريخ يعيد نفسه!

فتح باب الأمل في بحوث موسعة:

لقد فتح لنا أستاذنا العلامة الشاطري (ت **١٤٢٢**هـ) رحمه الله باباً كبيراً من الأمل في مواصلة البحث والتنقيب عن تراث هذه الطائفة بقوله: «ولكنا مع هذا نفتح باب الأمل في أن يعثر المؤرخ على مصادر لهذا الدور، بالبحث والتنقيب في كل منطقة تاريخية، علاوة على ما يلتقطه من هنا وهناك»[١]. فكأني بأستاذنا وشيخنا الكبير وهو ينظر بفراسة هاشمية معهودة، يرى بأن الزمن والوقتَ والتقدم المعرفي، وبعث التراث، والتواصل الفكري بين الشعوب، كفيلٌ بأن يبرز إلى النور من خفايا الأمور ما لم يكن معروفاً من قبل.

وإني أزعم أني أبليت جهدي في هذا المضمار، وجمعتُ كل ما وقعت عليه عيني مما له تعلق بهذه الحقبة الزمنية، التي امتدت طوال أربعة قرون أو تزيد، وهي فترة طويلة من عمر الزمن، حسبي أن أكون قد أسهمت في كشف خفاياها، وسبر أغوارها، والمجال كبير لمن أراد التوسع، والله الموفق والمعين.

❊ ❊ ❊

---

(١) محمد بن أحمد الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**: ص١٢٣.